تاريخ ما أهمله التاريخ

جمال بدوي

الكتـــــاب: تاريخ ما أهمله التاريخ/ جمال بدوي
المـــــؤلف: بطيشة، عمر
النــــــوع: مصر- تاريخ
تصميم الغلاف: جيهان متولي
إخــراج داخلي: بثينة عزام
الطبـــــــعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١٠
عــدد الصفحات:١٢٦
المقـــــــاس:١٤×٢٠
تدمــــــك:
١- مصر – تاريخ
٢- بطيشة، عمر (مؤلف مشارك)

صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عبود مصطفى عبود
كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسـين (أ) بـرج (٢) الدور العاشر.
ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)
البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com
رقــم الإيداع: ٢٠١٠/١٣٤٩٦
الترقيم الدولي: 978-977-6382-20-6
ديوي ٩٦٢

تاريخ ما أهمله التاريخ

يـرويـه

جمــال بــــدوي

مـــع

عمر بطيشة





الصحفي / جمال بدوي

مقــدمــة الناشر

التاريخ المصري مليء بالأسرار والخبايا، التي لم يكشف عنها أحدٌ حتى الآن؛ ولهذا أسباب كثيرة، ربما يكون منها عدم الإفراج عن الوثائق التي تشهد على الأحداث وضياعها بعد ذلك، على عكس ما يحدث في دول الغرب، حيث تسمح القوانين فيها بالاطلاع على الوثائق بعد مُضيّ فترة من الزمن.

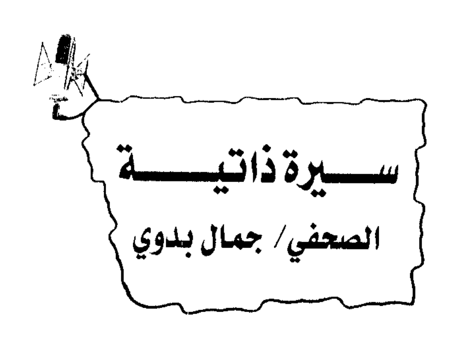
لذا كانت شهادات الشخصيات الكبيرة حول الأحداث التي عاصروها وشكّلوا جزءًا مهمًا من ملامحها مصدرًا مهمًا من مصادر معرفتنا بالتاريخ.

حقًا، قد يشوب الشهادة بعض التحيّز أو عدم الدقّة، لكنها تبقى في النهاية مصدرًا لا نستطيع تجاهله أو عدم الاعتداد به، خاصة إذا قارنّاها بشهادات الآخرين، فربما نخرج منها بحقيقة أو درس مهنيّ أو موقف إنسانيّ يساعدنا على تكوين رؤية واضحة لمشهدٍ ما في حياتنا أو تاريخنا، من هنا كانت أهميه هذه السلسلة التي تحمل عنوانًا دالًّا على مضمونها وهو «تاريخ ما أهمله التاريخ». فالشخصيات التي معنا قامات مصرية كبيرة، شهدت

أحداثًا كانت نقاطا فارقة ومنعطفات تاريخية مهمة، لذا.. من المهم أن نتعرف على ما عندهم ولم تذكره الكتب، لكنهم أفاضوه وقصوه مع الإذاعي الكبير عمر بطيشة في برنامجه الشهير «شاهد على العصر». والذي يسعدنا أن تكون مادته بين يديك عزيزي القارئ من خلال هذه السلسلة، بذلك نكون قد ساهمنا بدورنا في توثيق هذه الشهادات حتى يستطيع القارئ والباحث الرجوع إليها وقتما يريد.

وهذه الشهادة – تحديدا – تزداد أهمية لكون الشاهد ليس مجرد راصد لأحداث عصرية، بل إنه يُحاكم العصر بمنطق التاريخ، ولأنه قارئ ومحلل جيد للتاريخ فإنه يفسر كل شيء من خلال ما يشبهه من أحداث تاريخية، والتاريخ عنده مصدر للأوجاع، إنها شهادة الصحفي الكبير: جمال بدوي.

الناشر


سيرة ذاتية
الصحفي/ جمال بدوي

- هو الكاتب الصحفي الكبير والمؤرخ الوطني ذائع الصيت.
- ولد في مدينة بسيون بمحافظة الغربية عام ١٩٣٤.
- اختاره الكاتب الكبير مصطفى أمين[١] للعمل بجريدة أخبار اليوم وهو مازال طالبًا بالجامعة بقسم الصحافة جامعة القاهرة والتي تخرج فيها عام ١٩٦١.
- ترأَّسَ في أخبار اليوم قسم التحقيقات.
- أسس عام ١٩٧٢ جريدة «الاتحاد» الإماراتية التي أصبحت الجريدة الرسمية لدولة الإمارات العربية المتحدة.

[١] **مصطفى أمين**: (٢١ فبراير ١٩١٤ في القاهرة - ١٣ أبريل ١٩٩٧)، صحفي مصري. يعد أحد أهم الكتاب والصحفيين المصريين. ولد مصطفى أمين وتوأمه علي أمين في في بيت الأمة في مترل خال والدهم سعد زغلول.

- شارك مع مصطفى شردي[٢] في تأسيس وإصدار جريدة «الوفد» عام ١٩٨٤ وترأس تحريرها عام ١٩٨٩ إلى أن استقال منها.
- أسس أول جريدة يصدرها الأزهر الشريف باسم «صوت الأزهر».
- دخل جمال بدوى العديد من المعارك الصحفية التي ساهم فيها بقلمه الحر الجريء ومنها معركته الشهيرة ضد الصحافة الصفراء وما تنشره من أخبار كاذبة تضر بسمعة الوطن والشرفاء ،ونتيجة لهذه المقالات اجتمع الرئيس مبارك مع عدد من الكتاب والصحفيين لبحث هذا الأمر مستشهدًا ومشيدًا بمقالات جمال بدوى في نقده الشديد للصحافة الصفراء.

---

[٢] **مصطفى شردي**: كاتب صحفي وسياسي من بورسعيد في مصر. اشتهر بمحاربة الفساد. هو والد البرلماني الوفدي الأستاذ الصحفي نائب البرلمان عن دائرة المناخ ببورسعيد، ونائب رئيس تحرير جريدة الوفد، الأستاذ محمد شردي. مصطفى شردى كان أول رئيس تحرير لجريدة الوفد.

وكذلك نذكر معركته ضد قانون اغتيال حرية الصحافة رقم ٩٣ لعام ١٩٩٥[٣] والتي انتهت بانتصار الرئيس مبارك لحرية الصحافة ورفضه التصديق على هذا القانون.

- تخصص جمال بدوي في كتابة الدراسات التاريخية وتعمق في أغوار التاريخ المصري، خاصة الإسلامي، وكان يرى أن التاريخ ليس مجرد حكايات تروى أو قصصًا للتسلية، وإنما يجب أن يكون مصدرًا للإزعاج وناقوسًا للتنبيه لتعريف الشعب المصري بعظمة تاريخه وأصالة حضارته.. وزيادة وعيه وإدراكه بحجم التاريخ الذي يملكه.
- كان له العديد من البرامج التليفزيونية التي يحكي فيها تاريخ مصر، وكان يتميز حديثه ببساطة الإلقاء وسلاسة

[٣] القانون رقم ٩٣ لسنة ١٩٩٥م المعروف بقانون «اغتيال حرية الصحافة» أدخل تعديلات تقييدية جديدة على قانون العقوبات والإجراءات الجنائية ، بتغليظ العقوبات فى جرائم الرأى والنشر وخلق جرائم جديدة لم تكن موجودة من قبل ، كما ألغت الضمانة المقررة للصحفيين بعدم جواز حبسهم احتياطياً، وأضفت مزيداً من الحماية على الموظفين العموميين.

الحكي وعمق الثقافة وغزارة المعلومات، ومن أشهر هذه البرامج «حكايات مصرية – قطايف – من ذاكرة الكاميرا - ستائر النسيان".

لُقّب جمال بدوي بعدة ألقاب منها :

- شيخ الصحافة المتحرر.
- الحارس على ذاكرة الأمة.
- جبرتي العصر.
- كما صدرت له العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت مشواره الصحفي وأسلوبه المهني الذي كان يدرس في أقسام الصحافة بالمعاهد والجامعات، وكتب عنه الدكتور عادل عوض أستاذ التاريخ ، في صالون غازي الثقافي العربي، ضمن سلسلة المبدعين العرب، كتابًا ودراسة بعنوان «جمال بدوي الوجه الجمالي للشخصية العربية».

- نال جمال بدوي وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٩٥ على عطائه الغزير من الرئيس محمد حسنى مبارك.
- حصل على جائزة أفضل مقال نُشر على مستوى العالم العربي لعام ١٩٩٦ من جريدة «الشرق الأوسط».
- حاز كتابه «أنا المصري» على أوسكار أفضل كتاب بالمعرض الدولي للكتاب عام ٢٠٠٤ وتسلم الجائزة من الرئيس مبارك.
- ورغم تخصص كتابات جمال بدوي في الشأن السياسي والتاريخي فإنه بحسِّه الوطني نشر يومًا مقالًا بمناسبة إنشاء شركة «ثروة للبترول» حين استشعر الدور الوطني والاقتصادي القومي الذي يمكن أن يؤديه إنشاء أول شركة إنتاج بترول مصرية بالكامل. وكان عنوان المقال «ثروة مصر البترولية».

قالوا عن جمال بدوى:

- إن رحيله المفاجئ خسارة بكل المعايير وهى خسارة أكبر من شخصية مهنية وإنما هى خسارة وطنية وإنسانية (محمد حسنين هيكل)
- رغم أنه كان محسوبًا على المعارضة فإن الذين كان يعارضهم يحترمونه ويقدرونه لإحساسهم بنزاهته ونقائه. (صلاح منتصر)
- عاش جمال بدوي كاتباً حسن السمعة... شريف المقصد متعففاً ومترفعاً عن الهبوط. (حازم هاشم)
- سيحفظ التاريخ اسم جمال بدوي مع أبرز الأسماء اللامعة للرحالة والمؤرخين الأفذاذ الذين خلَّدتهم أثارهم القيمة وكتاباتهم الممتعة مثل هيرودوت و ابن بطوطة. (عمرو الديب)

- فى عزاء جمال بدوي كانت مصر كلها حاضرة بكافة ألوان الطيف السياسي والفكري، فهامته العملاقة جعلت منه رمزًا شامخًا وكاتبًا متميزًا. (مصطفى بكري)
- وداعًا.. جمال بدوي الذي لا يختلف إنسان فى مصر على تقديره واحترامه. (حسن شاه)
- كان جمال بدوي «كما جاء فى نعيه بحق» قريب ونسيب وحبيب جميع أفراد الشعب المصري (عبد النبي عبد الباري)

وقد ألَّف جمال بدوي على مدى مشواره الصحفي والثقافي أكثر من عشرين كتاباً منها:

- (في محراب الفكر).
- (مسلمون وأقباط من المهد إلى المجد).
- (مصر من نافذة التاريخ).
- (مسافرون إلى الله بلا متاع).
- (الوحدة الوطنية بديلاً عن الفتنة الطائفية).



- (المماليك على عرش فرعون).
- (مسرور السياف وإخوانه).
- (أنا المصري).
- (معارك صحفية).
- (الفاطمية دولة التفاريح والتباريح).
- (نظرات في تاريخ مصر).
- (الطغاة والبغاة).... وغيرها من الكتب التي أثرت الحياة الثقافية في مصر.



مقدمة الحوار

لأنه شاهد على عصر التحولات الكبرى والتغيرات الدرامية التي غيرت تاريخ المجتمع، ولأنه ليبرالي، وكان من قبل قد انضم لجماعة الإخوان المسلمين ثم انفصل عنها، ولأنه صحفي وقارئ جيد للتاريخ، لهذا كله تزداد أهمية شهادته.

يرى الصحفي؛ جمال بدوي أن التاريخ مصدر للأوجاع، ويقارن دائما بين ما هو كائن وما كان، ليجعل التاريخ هو الحكم على كل أحداث العصر، وفي ضوء هذه النظرة التاريخية يحلل جمال بدوي ظواهر عصرية مهمة من مثل؛ التطرف الديني، الفتنة الطائفية، ولا يفصل بين ما يدور في عقول الجماعات الإسلامية وفكر الخوارج، حتى إنه يستنكر كيف استطاع الناس أن يستخرجوا ويؤيدوا هذه الأفكار، وكيف يقدمونها للناس مرة ثانية في شكل معلّبات جديدة، تستهوي الشباب، على الرغم من مرور العشرات من القرون؟ ويقارن جمال بدوي بين أفكار تاريخية وأخرى معاصرة من مثل؛ فكرة الحاكمية لدى الخوارج وظهورها كفكرة معاصرة.

كما يستنكر الصحفي الكبير؛ جمال بدوي من يُنصِّبُون أنفسهم فقهاء من دون علم، تجد الصبي نصيبه من العلم ضئيل لا يفهم مامعنى أصول الفقه، ولا معنى استنباط الحكم، ويعرف كيف تُفسّر الآية، ولا يعرف أسباب نزولها، ولا يعرف اللغة العربية واشتقاقاتها، ومع ذلك يُنَصِّب من نفسه أميرًا للمؤمنين أو قيِّمًا على المجتمع، ويقول: أنتِ لا تسيري في الشارع، وأنتِ لا بد لكِ من محرم، وهذا يقول: لا موسيقى، وذاك: لا مزيكا.

يكشف كذلك الشاهد عن طبيعة التكوين الثقافي الإيراني الشيعي، ويجد فيه رواسب جاهلية على الرغم من دخوله الإسلام، ويرى في العموم أنه ليس من أحد ينتقل من دين إلى دين وهو متطهر من بصمات الدين القديم. كما أنه يرصد بداية التشيع تاريخيا، وكيف كانت حادثة كربلاء بمثابة صب الزيت على النار.

يرى الصحفي الكبير؛ جمال بدوي أن المجتمع المصري أخذ الإسلام من المنابع الأولى ومن المصادر الصافية الأولى؛ لأن الفضل في هذا يعود إلى أن مصر كانت قِبلة لعددٍ كبيرٍ جدًّا من أئمة

الصحابة. هؤلاء حفروا التيار السنّي في مصر، وحفروا لهم مجرًى عميق. ولذلك رفض المجتمع المصري الوجود الشيعي المتمثل تاريخيا في الفاطميين.

يفرق بدوي بين الحرية والفوضى ويرى أن المصريين عندما ترى أعينهم عمليات اعتداء على حريات الناس، وحرماتهم، تُلح عليهم مسألة التطرف.

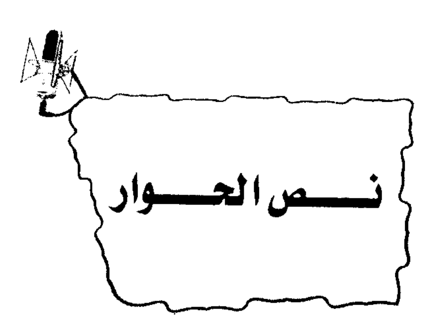
يحكي الشاهد تجربته مع الإخوان المسلمين، وأيام الصدام بين الثورة والإخوان، ولماذا اعتقل، وحياته داخل المعتقل. ويصل إلى حكم مهم عبر رحلة طويلة هو أن النظام السياسي في الإسلام هو من أعظم النُّظُم التي عرفتها البشرية.

يرصد بدوي في شهادته نشأة الأحزاب المصرية، ويرى أنها ولدت في أحضان الصحف الوطنية، ويرى أن ضعف الأحزاب والتيار السياسي اليوم هو وراء ظهور التيار غير الحزبي، ويقصد الإخوان المسلمين.

يرصد كذلك بدوي خلال هذه الشهادة التي أدلى بها للإذاعي عمر بطيشة موقفه من اللغة، ويرى أن اللغة دليل على تفشي الاستبداد بما تحويه من ألفاظ التفخيم والتعظيم وعبارات المذلة والخنوع، ويحمل كُتّاب الحوار والإذاعة والتلفزيون والمسرح والصحفيين إشاعة ألفاظ غير مقبولة في الشارع المصري والعربي.

من القضايا التي كانت تهمّ الشاهد جدًّا وهو يرصد تاريخ مصر الطويل كله، منذ سقوط الدولة الفرعونية إلى مشارف العصر الحديث في القرن العشرين، أنه لم يحكم مصر حاكمٌ مصري. كما أنه يربط بين طول مدة الحكم ووقوع الكوارث مستشهدا بالسنوات العجاف في عهد رمسيس الثاني، وبالشدة المستنصرية في عهد المستنصر بالله الذي حكم مصر ستين عاما.

شهادة تزداد ثراء من خلال ربطها بالتاريخ، وتعلو قيمتها من كون صاحبها أنه يحلل قضايا العصر من خلال موروث تاريخي طويل، يرى فيه العبرة والدرس، لا الحدث الذي يذكر للتسلية.


نـــص الحـــوار

المذيع:

أبرز النصف الأخير من القرن العشرين إلى عالم الدراسات التاريخية نخبةً من الكتَّاب والمفكرين، الذين لم يتخرَّجوا من أقسام التاريخ، ولكنهم أثبتوا قدرتهم على الكتابة التاريخية المتعمّقة، ومن ألمعهم شاهدنا على العصر وهو رئيس تحرير أكبر صحيفة معارضة في مصر، لكن حزبيته لم تضع قيدًا على موضوعيته وحيادته التاريخية، كما أن نشأته في أحضان الأخوان المسلمين لم تقفْ حائلًا دون تحوّله إلى الليبرالية واعتناق مبادئ حب الوطن.

ولد عام ١٩٣٤ في بسيون بمحافظة الغربية ، وتخرج في قسم الصحافة بجامعة القاهرة عام ١٩٦١، وقبل تخرّجه التقطته العين الثاقبة للصحفي الكبير مصطفى أمين، وضمّه إلى أسرة الأخبار، وفي عام ١٩٧٢ سافر إلى الإمارات العربية المتحدة؛ حيث شارك مع

مصطفى شردي وعباس الطرابيلي[٤] في إنشاء صحيفة الاتحاد، وعاد عام ٨١ ليقضي ثلاث سنوات بلا عمل، إلى أن ظهرت صحيفة الوفد عام ٨٤ فأصبح مديرًا لتحريرها، ثم رئيسًا للتحرير فيما بعد.

أُشتهر بكتابته التاريخية الشائقة، وأصدر عدة دراسات مهمة في التاريخ الإسلامي والوطني، ركّز فيها على رؤيته لقضايا الحريّة والبحث عن ضماناتها، ومن أشهرها: الفكر السياسي في الإسلام، الفتنة الطائفية في مصر، الشيعة قادمون، ونظرات في تاريخ مصر، وشهداء وضحايا من تاريخ الإسلام، وقطايف، وكان وأخواتها، الذي جمع فيه دراساته المنشورة في صحيفة الوفد.

---

[٤] **عباس الطرابيلي**: ولد في ١١ يناير ١٩٣٦ بمحافظة دمياط. حصل على ليسانس الآداب، عمل صحفيًا في أخبار اليوم ١٩٥٩، عمل بصحيفة الاتحاد بدولة الإمارات= =العربية ١٩٧٢، عاد إلى= أخبار اليوم ١٩٨١. عمل في جريدة الوفد ١٩٨٤. حيث أصبح مساعدًا لرئيس التحرير ١٩٨٧، مديرًا للتحرير ١٩٨٩. شارك في العديد من المؤتمرات الاقتصادية والدولية، وفي تغطية مؤتمرات منظمة الأربيك وتخصص في الكتابة في مجال الاقتصاد مع التركيز على البترول واقتصادياته.

فيما يأتي ستكون شهادته على عصره.. الصحفي الكبير الأستاذ جمال بدوي رئيس تحرير صحيفة الوفد.

رؤية عامّة لأهم الظواهر والمستجدات على ساحة العصر في مصر والعالم

تعوَّدنا أن يبدأ شاهد العصر شهادته أو صدر شهادته برؤيةٍ عامَّةٍ تنتظم أهم الظواهر والمستجدات على ساحة العصر في مصر والعالم.. فماذا عن هذه الرؤية؟

(●) يُخَيَّل إليَّ من خلال رؤيتي إلى ما حولي سواء كان في مصر أو العالم الخارجي أنني عشت عصرَ التحوّلات الكُبرى، التغيّرات كما يُقال: الدرامية التي غيّرت تاريخ المجتمع البشري خلال هذه السنوات المتقاربة، من مرحلة إلى مرحلة. وفي الوقت نفسه يُخَيّل إلي أنه عصر التطلّعات إلى الأهداف التي عاش الإنسان كفاحه ونضاله بحثًا عنها؛ العدالة، والحرية، والديمقراطية، والمساواة.

حقوق الإنسان:

بالإجمال حقوق الإنسان..

حقوق الإنسان، بمعنى: أنني عشت مرحلة الديمقراطية فيما قبل الثورة، ومن الممكن أن تكون هذه المرحلة من البصمات الأساسية التي شكّلت تفكيري السياسي.

نستطيع أن نسميها المرحلة الليبرالية[٥]؟

نعم هي فعلًا كذلك.

المرحلة الليبرالية في مصر، لاحظت في أواخر هذا العصر في الأربعينيات وفي ما تلا الحرب العالمية الثانية -وكنت قارئًا منتظمًا

---

[٥] **الليبرالية:** (liberalism) اشتقت كلمة ليبرالية من ليبر liber وهي كلمة لاتينية تعني الحر. الليبرالية حاليًا مذهب أو حركة وعي اجتماعي سياسي داخل المجتمع، تهدف لتحرير الإنسان كفرد وكجماعة من القيود السلطوية الثلاثة (السياسية والاقتصادية والثقافية)، وقد تتحرك وفق أخلاق وقيم المجتمع الذي يتبناها تتكيف الليبرالية حسب ظروف كل مجتمع، وتختلف من مجتمع غربي متحرر إلى مجتمع شرقي محافظ. الليبرالية أيضا مذهب سياسي واقتصادي معاً ففي السياسة تعني تلك الفلسفة التي تقوم على استقلال الفرد والتزام الحريات الشخصية وحماية الحريات السياسية والمدنية.

للصحف- وتفتحت عيني على قراءة المجلات وما يكتبه كبار الكتّاب، وتعرفت إلى أصحاب الأقلام الكبيرة.

نقول: العصر الذهبي للثقافة المصرية.

نعم يطلقون عليه عصر الروّاد، وبالطبع معظم الشعوب العظيمة شهدت هذه المراحل.في كل المجالات: في الأدب، في الفن، في الطب، في الهندسة، في المعمار.

عصر الرواد

سنجد عمالقة.

نعم عمالقة، وهذه المرحلة التي نطلق عليها عصر الرواد وخاصة فيما بين الثورتين؛ ما بين ثورة ١٩[٦] وثورة ٥٢، حيث ظهر كل هؤلاء الرواد في المجالات التي ذكرتها.

---

(٦) **ثورة ١٩١٩** بقيادة سعد زغلول زعيم الحركة الوطنية المصرية. جاءت هذه الثورة في ظل المعاملة القاسية التي كانت بحق المصريين من قبل البريطانيين، والأحكام العرفية التي أصدرت بحق المصريين، بالإضافة إلى رغبة المصريين بالحصول على الاستقلال. أتت هذه الثورة نتيجة مطالبة سعد زغلول بالسماح للوفد المصري بالمشاركه في مؤتمر الصلح في باريس، وعندما رفضت بريطانيا هذه المشاركة واصرار سعد زغلول عليها اضطرت إلى نفيه هو ومحمد محمود وحمد الباسل وإسماعيل صدقي إلى مالطة، فانفجرت الثوره في كل مكان=

وعاصرتُ هذه المرحلة، حيث كان الشباب يقود ويشارك، كان الشباب وقود الحركة الوطنية، كنا نناضل بصفةٍ عامَّة الاحتلال الإنجليزي، مظاهرات في المدارس وما شابه ذلك، كل هذا عاصرته ورأيته بعيني، وكان لا بد أن يترك بصماتَه على ذهني.

هل ننسى هتافات الاستقلال والحُرِّية، أو الاستقلال التام أو الموت الزؤام، للأسف تخرج هذه الشعارات وفي بعض الأعمال الفنية بشكل فيه شيء من السخرية!!

نعم.. هذا غريب، مع أن هذا شعار وطني وفي دمِّنا جميعًا.

نعم..بالتأكيد أنت تعرف مدى اهتمامنا بالنكتة أو السخرية من كل شيء، لكن هذه نقطة عابرة، المهمّ أنني رأيت هذه المرحلة وعشتها وكان من الصعب أن أفلت منها؛ لأنني ابن هذه المرحلة،

=في مصر واشترك فيها كثير من المصريين. وكانت أول ثورة تشترك فيها النساء في مصر، بقيادة صفية زغلول مطالبين بالإفراج عن سعد زغلول، فاضطرت السلطات البريطانية إلى الرضوخ للمطلب الشعبي وأفرجت عن سعد زغلول.

هذه الثورة أعطت للبريطانيين الضوء الأحمر والتي جعلت البريطانين يقومون بإلغاء الأحكام العرفية، ووعد المصريين بالحصول على الاستقلال بعد ثلاث سنوات مقابل إبقاء قوات بريطانية في مصر.

التـي تعـدّ مرحلـة الوطنيـة والتـشوّق إلى الاسـتقلال وسـقوط الشهداء، ورؤية الـشباب وهـو يكـافح كفاحًـا عمليًّا، ولـيس مجـرد كتابة كلمات أو مقالات.

شهداء المظاهرات على كوبري عباس[٧] مثلًا.

---

(٧) شهدت هذه الأيام من شهر فبراير عام ١٩٤٦ واحدة من أعنف المظاهرات في تـاريخ مصر الحديث فقد كانت الجماهير آنذاك تموج بروح الثورة وتقطعت الأسباب بينها وبـين الحكومة المتخاذلة والمتواطئة مع المحتل البريطاني وكانت الصحف والاجتماعات واللقـاءات تحرك مشاعر الغضب والرفض للوضع القائم وتتجه لإكساب الجماهير شعورًا واحدًا وموقفًا واحدًا يتربص بأية بادرة صريحة من الحكومة للمساومة مع المحتل وأتت هذه البادرة بإعلان المذكرة الرسمية المصرية والرد البريطاني عليها.

كانت عطلة رأس السنة للجامعة والمدارس قد انتهت فأصدرت اللجنة التنفيذية العليا للطلبة ــ وكانت بمثابة الاتحاد العام للطلاب ــ قرارًا بدعوة الطلاب لعقد مؤتمرات عامـة يوم ٩ فبراير لمناقشة الحالة الحاضرة وهاجمت مبدأ الدفاع المشترك مع بريطانيا، الذي يحمل معنى الحماية الاستعمارية وطالبت بعدم الدخول في المفاوضات إلا على أساس الجلاء التام ثم ناشدت الأحزاب كلها بأن تعلن الخطط التي ترى إتباعها إذا رفضت بريطانيا هذا الطلـب وسبق صدور هذا البيان= مظاهرات وإضرابات في نواح شتى من الـبلاد، وقـد لوحـت الحكومة للصحف بالقانون الذي يحظر نشر أخبار صحيحة أو كاذبة عن حوادث الإضراب أو المظاهرات التي يقوم بها الطلبة أو غيرهم، وذلك حتى لا تسري عدوى «الهياج العـام»، ولكن عبثًا كانت محاولة الحكومة حيث تزايدت المظاهرات والإضرابات حتى كان يـوم ٩ فبراير يوم انعقاد المؤتمرات التي دعت لها اللجنة التنفيذية العليا للطلبة. =



(●) نعم، لكن وقت وقوع هذه الأحداث كنت أعيش في طنطا[٨] وليس في القاهرة، لكن أحداث كوبري عباس عشتها طبعًا عن طريق الصحف.

=انعقد المؤتمر العام الأول في جامعة فؤاد الأول ــ جامعة القاهرة حاليًا ــ بالجيزة وشارك فيه كثيرون من طلبة المعاهد والمدارس، وعم الاجتماع شعور بالوحدة وأعلن المؤتمر اعتبار المفاوضة= عملاً من أعمال الخيانة يجب وقفه، وطالب بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي ١٨٩٩ الخاصتين بالسودان وضرورة جلاء القوات البريطانية فورًا.

بعد هذا خرجت من الجامعة أضخم مظاهرة عرفت منذ قيام الحرب العالمية الثانية فعبرت شارع الجامعة ثم ميدان الجيزة إلى كوبري عباس وما إن توسطته حتى حاصرها البوليس من الجانبين وفتح الكوبري عليها وبدأ الاعتداء على الطلبة فسقط البعض في النيل وقتل وجرح أكثر من مائتي فرد، وفي ذات اليوم حدثت مظاهرة في المنصورة أصيب فيها ٧ شبان و٣ جنود واعتقل أربعة كما اعتقل عدد من الشبان في أسوان وفي اليوم التالي عمت المظاهرات القاهرة والأقاليم وفي يوم ١١ فبراير صادرت الحكومة الصحف التي كانت تنشر أخبار المظاهرات وحوادث الاشتباك مع البوليس ولم يمنع ذلك الهيئات المختلفة من الاحتجاج على القمع الحكومي للمظاهرات فأعلن اتحاد خريجي الجامعة الاحتجاج واتحاد الأزهر وكلية أصول الدين ولجان الوفد بالأقاليم ومصر الفتاة والفجر الجديد وهي جماعة يسارية ذات صلة قوية بالحركة العمالية في ذلك الوقت.

[٨] عاصمة محافظة الغربية بمصر، وتقع على بعد نحو ٩٢ كم شمال القاهرة، و١٢٠ كم جنوب الإسكندرية، اسماها العرب القدامى "طَنْتُدا"، فإنها ملتقى مهم للطرق الحديدية والبرية حيث تربطها بجميع أنحاء الجمهورية شبكة مواصلات جيدة. كما أنها تعتبر ثالث مدن الدلتا من حيث المساحة والسكان بعد المحلة الكبرى والمنصورة، وأهم شوارعها شارع الجيش=

وستندهش عندما أقول لك: إننا كنا نخرج من القاهرة إلى طنطا والعكس؛ لنهتف بحياة مصدق[٩]، الزعيم الإيراني المعروف؛ لأنه أمم البترول وجاء إلى مصر، فكان الشباب يحييه، ويحض النحاس باشا[١٠] على أن يلغي معاهدة ٣٦ مثلما فعل مصدق وهكذا..

=(البحر سابقا) وشارع الجلاء وشارع النحاس وشارع سعيد وشارع المديرية وشارع علي مبارك. كما تحتوي المدينة على جامعة طنطا، التي تضم الكثير من الكليات في التخصصات المختلفة، وتوجد بها حديقة حيوان صغيرة تسمى المنتزة، وتشتهر مدينة طنطا بصناعة الحلوى والمسليات.

[٩] **محمد مصدق**: (١٨٨٢-١٩٦٧)، رئيس وزراء إيراني أسبق شغل المنصب بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٣. يعتبر محمد مصدق في إيران بطلاً قومياً لرفضة الإمبريالية الغربية وقيامه بتأميم النفط ابان تسلُّمه الرئاسة، كما قام بخلع الشاه إلا أنه سرعان ما أعيد بعملية أمريكية بريطانية مشتركة سميت بالعملية أجاكس، أعتقل محمد مُصدَّق بعدها وسجن لمدة ثلاث سنوات، وأطلق سراحه بعدها شرط الاستمرار رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته في عام ١٩٦٧.

[١٠] **مصطفى محمد سالم النحاس**: (١٨٧٩ - ١٩٦٥) سمنود الغربية. أحد أبرز السياسيين المصريين. تولى منصب رئيس وزراء مصر في ١٩٢٨، ١٩٣٠، بين ١٩٣٦ و١٩٣٧، ومن ١٩٤٢ حتى ١٩٤٤، أخيراً بين ١٩٥٠ و١٩٥٢. ساعد على تأسيس حزب الوفد وعمل زعيماً له من ١٩٢٧ إلى ١٩٥٢، عندما تم حل الحزب. ساهم كذلك في تأسيس جامعة الدول العربية وكان رئيساً للوزراء لبضعة أشهر في ١٩٢٨ بعد الاصطدام مع الملك فؤاد بسبب رغبته في الحد من سلطات الملك.

فالشباب كانْ مرتبطا ارتباطًا قويًّا جدًّا بالحركة الوطنية وعينه كانت مفتوحة على مجريات الأمور ليس في الوطن فقط ولكن في كل ما يحدث في المنطقة بأسرها وحركة الشباب آنذاك كانت سريعة، كان يتصرف بطريقة تلقائية. لا يمر عليّ يومٌ أذهب فيه إلى المدرسة إلا وأتوقع وجود إضراب أو ما شابه، فاليوم مثلًا ذكرى سقوط حركة عرابي[11]، واليوم ذكرى ثورة ١٩،هكذا..

---

[11] هي الثورة التي قادها أحمد عرابي في فترة ١٨٧٩-١٨٨٢ ضد الخديو توفيق ووالأوربيون وسميت آنذاك هوجة عرابي.

ظهرت بوادر الثورة في فبراير ١٨٨١ اثر سجن أحمد عرابي، وعبد العال حلمي، وعلي فهمي وقد قام الجيش بها أولا لتنفيذ مطالبه وهي عزل وزير الحربية عثمان رفقي؛ الذي ظلم الضباط المصريين. ونتج عنها

١- موافقة الخديوي وهو مرغم على عزل عثمان رفقي وتعيين محمود سامي البارودي بدلا منه

٢-ارتفاع شأن عرابي كزعيم وطني يمكن الاعتماد عليه في تحقيق طلبات الشعب في الحرية والتحرر من النفوذ الأجنبي.

في ٩ سبتمبر ١٨٨١ اندلعت الثورة العرابية. وهذا المرة لم تكن في نطاق عسكري فقط بل شملت أيضا المدنين من جميع فئات الشعب وكان بسبب سوء الأحوال الاقتصادية، التدخل الأجنبى في شؤون مصر، ومعاملة رياض باشا القاسية للمصريين، نمو الوعي القومي، وشارك الشعب المصري بكامل طوائفه مع الجيش بقيادة عرابي الذي أعلن مطالب الشعب للخديوي توفيق وكانت :

١. زيادة عدد الجيش إلى ١٨٠٠٠ جندي. =

لا يمر يوم إلا ويحتفل الطلاب بمناسبة من المناسبات الوطنية، والتعبير عن رأيهم وعن حماسهم في واقعة معينة، كانت حياتنا اليومية بهذا الشكل.

بعد ذلك عشت مرحلة الثورة بكل تفاعلاتها وانتصاراتها وانتكاساتها وكل ما جري لها، وهذه مرحلة من الممكن أن نسميها الوسطى من حياتي.. مرحلة الشباب.

كنت أيامها منضما إلى الأخوان المسلمين.

طبعًا كانت البداية، لكن بعد ذلك عاصرتها وأنا صحفي، عندما التحقت بالصحافة فعشتها معيشة عمليّة عن طريق مهنة الصحافة، عشت في مرحلة الثورة، تلك مرحلة الشباب الزاهدة،

---

٢. تشكيل مجلس شورى النواب على النسق الأوروبي.

٣. عزل وزارة رياض باشا.

فقال الخديوي: كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا، إلا أن عرابي قال: لقد خلقنا الله أحرارًا، و لم يخلقنا تراثًا أو عقارًا، والله الذي لا إله غيره إننا سوف لا نُورَّث، ولا نُستعبَد بعد اليوم.

وهي فترة الثلاثينيات والأربعينيات من العمر. بعد ذلك ابتعدتُ فترةً عن مصر.. فترة الخليج ورجعت عام ٨١.

إذن لم تعاصر عهد الرئيس الراحل أنور السادات[١٢].

---

(١٢) ثالث رئيس لجمهورية مصر العربية في الفترة من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وحتى ٦ أكتوبر ١٩٨١.
كان أنور السادات طفلا غير عادي بتخيله البعيد، الذي يميزه عن أقرانه، وكانت والدته سودانية تدعى «ست البرين» تزوجها والده حينما كان يعمل مع الفريق الطبي البريطاني بالسودان، لكنه عاش وترعرع في قرية ميت أبو الكوم، أشار السادات إلى أن القرية لم تضع غشاوة على عقله، لكن كانت جدته ووالدته هما اللتان فتنتاه وسيطرتا عليه، وهما السبب الرئيسي في تكوين شخصيته. فقد كان السادات يفخر بأن يكون بصحبة جدته الموقرة، تلك الجدة التي كان الرجال يقفون لتحيتها حينما تكون مارة رغم أميتها، إلا إنها كانت تملك حكمة غير عادية، حتى إن الأسر التي كانت لديها مشكلات كانت تذهب إليها لتأخذ بنصيحتها علاوة على مهارتها في تقديم الوصفات الدوائية للمرضى.

وذكر السادات أن جدته ووالدته كانتا تحكيان له قصصا غير عادية قبل النوم، لم تكن قصصا تقليدية عن مآثر الحروب القديمة والمغامرات، بل كانت عن الأبطال المعاصرين ونضالهم من أجل الاستقلال الوطني، مثل قصة دس السم لمصطفى كامل بواسطة البريطانيين الذين أرادوا وضع نهاية للصراع ضد احتلالهم لمصر، أنور الصغير لم يكن يعرف من هو مصطفى كامل، لكنه تعلم من خلال التكرار أن البريطانيين أشرار ويسممون الناس، ولكن كانت هناك قصة شعبية أثرت فيه بعمق وهي قصة زهران الذي لقب ببطل دنشواي التي تبعد عن ميت أبو الكوم بثلاثة أميال، وتتلخص أحداثها في أن الجنود البريطانيين كانوا يصطادون الحمام في دنشواي، وأشعلت رصاصة طائشة الحريق في أحد أجران القمح، فاجتمع الفلاحون ليطفئوا الحريق، لكن أحد الجنود البريطانيين أطلق عليهم النار وهرب، وفي معركة تالية قتل الجندي، وحينئذ تم القبض على العديد من الناس وشكل مجلس عسكري بالساحة، وعلى وجه السرعة نصبت المشانق، كما تم جلد بعض الفلاحين وكان زهران=

=هو أول من شنق، وكان من فرط شجاعته مشى إلى المشنقة برأس مرفوعة بعد أن قرر قتل أحد المعتدين في طريقه.

وانتهت جنة القرية بالنسبة للسادات مع رجوع والده من السودان، حيث فقد وظيفته هناك على إثر اغتيال سيرلى ستاك، وما ترتب على ذلك من سحب القوات المصرية من المنطقة. بعد ذلك انتقلت الأسرة المكونة من الأب وزوجاته الثلاث وأطفالهن إلى منزل صغير بكوبري القبة بالقاهرة وكان عمره وقتها نحو ست سنوات، ولم تكن حياته في هذا المنزل الصغير مريحة حيث إن دخل الأب كان صغيرا للغاية، وظل السادات يعاني من الفقر والحياة الصعبة إلى أن استطاع إنهاء دراسته الثانوية عام ١٩٣٦، وفى السنة نفسها كان النحاس باشا قد أبرم مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦، وبمقتضى هذه المعاهدة سمح للجيش المصري بالاتساع، وهكذا أصبح في الإمكان أن يلتحق بالكلية الحربية حيث كان الالتحاق بها قاصرا على أبناء الطبقة العليا، وبالفعل تم التحاقه بالأكاديمية العسكرية في سنة ١٩٣٧، وهذه الأحداث هي التي دفعت السادات إلى السياسة.

كانت أيام حرية السادات معدودة، حيث ضيق الإنجليز قبضتهم على مصر، وبالتالي على كل مناضل مصري يكافح من أجل حرية بلاده مثل أنور السادات، فتم طرد السادات من الجيش واعتقاله وإيداعه سجن الأجانب عدة مرات، حيث قام بالاستيلاء على جهاز لاسلكي من بعض الجواسيس الألمان «ضد الإنجليز» وذلك لاستغلال ذلك الجهاز لخدمة قضية الكفاح من أجل حرية مصر، وفى السجن حاول السادات أن يبحث عن معاني حياته بصورة أعمق وبعد أن أمضى عامين (١٩٤٢ : ١٩٤٤) في السجن قام بالهرب منه حتى سبتمبر ١٩٤٥ حين ألغيت الأحكام العرفية، وبالتالي انتهى اعتقاله وفقا للقانون، وفى فترة هروبه هذه قام بتغيير ملامحه وأطلق على نفسه اسم الحاج محمد، وعمل تباعا على عربة تابعة لصديقه الحميم حسن عزت، ومع نهاية الحرب وانتهاء العمل بقانون الأحوال العسكرية عام ١٩٤٥ عاد السادات إلى طريقة حياته الطبيعية، حيث عاد إلى منزله وأسرته بعد أن قضى ثلاث سنوات بلا مأوى.

عقد السادات ومعاونوه العزم على قتل أمين عثمان باشا، وزير المالية في مجلس وزراء النحاس باشا لأنه كان صديقا لبريطانيا وكان من أشد المطالبين ببقاء القوات الإنجليزية في مصر، وكان له قول مشهور يشرح فيه العلاقه بين مصر وبريطانيا ويصف العلاقه بأنها زواج كاثوليكي بين مصر وبريطانيا لا طلاق فيه، وتمت العملية بنجاح في السادس من يناير عام ١٩٤٦ على يد حسين=

(●) طبعًا.. عشته بكل حذافيره، فليس بالضرورة أن تكون معايشة لصيقة، لكنني عشتها وأنا في الخليج، خارج مصر، بمعنى لأنني كنت متتبّعها وأرصدها.

=توفيق، وتم الزج بأنور السادات إلى سجن الأجانب دون اتهام رسمي له، وفي الزنزانة ٥٤ تعلم السادات الصبر والقدرة على الخداع، حيث كانت تتصف هذه الزنزانة بأنها قذرة لا تحتوى على شيء إلا بطانية غير آدمية، وتعتبر تجارب السادات بالسجون هذه أكبر دافع لاتجاهه إلى تدمير كل هذه السجون بعدما تولى الحكم وذلك عام ١٩٧٥ وقال حين ذاك: «إن أي سجن من هذا القبيل يجب أن يدمر ويستبدل بآخر يكون مناسبا لأدمية الإنسان».
كما أدى حبس السادات في الزنزانة ٥٤ بسجن القاهرة المركزي إلى التفكير في حياته الشخصية ومعتقداته السياسية والدينية، كما بنى السادات في سجنه علاقة روحانية مع ربه، لأنه رأى أن الاتجاه إلى الله أفضل شيء لأن الله سبحانه وتعالى لن يخذله أبدا. وأثناء وجوده بالسجن قامت حرب فلسطين في منتصف عام ١٩٤٨، التي أثرت كثيرا في نفسه حيث شعر بالعجز التام وهو بين أربعة جدران حين علم بالنصر المؤكد للعرب لولا عقد الهدنة الذي عقده الملك عبد الله ملك الأردن وقت ذلك، والذي أنقذ به رقبة إسرائيل وذلك بالاتفاق مع الإنجليز، وفى أغسطس ١٩٤٨ تم الحكم ببراءة السادات من مقتل أمين عثمان وتم الإفراج عنه، بعد ذلك أقام السادات في بنسيون بحلوان لكي يتمكن من علاج معدته من آثار السجن بمياه حلوان المعدنية.
وكان قد التقى بالجمعية السرية التي قررت اغتيال أمين عثمان وزير المالية في حكومة الوفد ورئيس جمعية الصداقة المصرية – البريطانية لتعاطفه الشديد مع الإنجليز. وعلى إثر اغتيال أمين عثمان عاد مرة أخرى وأخيرة إلى السجن. وقد واجه في سجن قرميدان أصعب محن السجن بحبسه انفرادياً، وبعدم ثبوت الأدلة الجنائية سقطت التهمة عنه فأفرج عنه.

إنما توافقت أو تزامنت عودتك إلى مصر مع بداية عهد الرئيس مبارك..

بالضبط كان ذلك في عام ١٩٨١، بعد ذلك ظهر الوفد على المسرح مرة أخرى، وصدرت جريدة الوفد، وكنت مشاركا في إصدارها حتى الآن.

أهم الظواهر الموجودة حاليًا على الساحة المصرية

لو نظرت حولك على الساحة المصرية المعاصرة الآن.. فما هي أهم الظواهر التي ترصدها حاليًا في هذه المرحلة؟

أنا دائما اهتم بما يجري في مصر - وعيني تقارن بين ما هو كائن وبين ما كان في الماضي - أنا دائمًا أصف حركة الشعب المصري منذ مراحله البعيدة، ومن دون قصد المقارنة إنما أريد تفسير ما يحدث أمامي على ضوء الماضي، فأبحث فيما حدث.. هل وقع له شبيه؟ هل حدث قبله مثيل له؟ فأرى المجتمع المصري قد مرّ بمراحل كثيرة جدًّا قد تكون مشابهة لما يجري الآن، بمعني: أنني

دائمًا أقارن وأنتقل منها إلى أن أستكشف المستقبل وأرى ما سيجري من أحداث.

فمثلًا أنا أرى أمامي الآنْ مسألة الوحدة الوطنية تتعرض لاهتزازات، وهذه من ضمن ظاهرة دائما ما تقلقني، أرى مثلًا إغراق الشباب فيما يسمى بالتطرف، وأنا لا أسميه تطرُّفًا، مغالاة في التدين، هذه ظاهرة لم تكن قائمة وقتها على الرغم من أنني نشأت في كنف الإخوان نشأة دينية؛ نشأة دينية داخل البيت، نشأة دينية في المجتمع الذي يحمل صبغة الإخوان، فأرى أيضًا أن الأمور تحتاج إلى رصد في مسألة المغالاة في التدين، أرى انصراف الشباب عن العمل العام، كل هذه الظواهر يلتفت إليها نظري، وتجعلني دائمًا أفكِّر في مستقبل مصر وما سيكون عليه المجتمع في المرحلة القادمة.

ذكرنا الصحفي الكبير الأستاذ جمال بدوي رئيس تحرير صحيفة الوفد بدراسته الهامة عن الفتنة الطائفية في مصر، وملاحظتك الحقيقية عن استعادة المصريين بعد الفتح الإسلامي

لنزعتهم الأصيلة في الاعتدال وكراهية التعصب وتشرّب عناصر التراث؛ حتى لا يصعب على الغرباء تمييز المسلم عن القبطي في حياته اليومية، وأظن أن كرومر[١٣] قد قال المعنى نفسه.

فما هي شهادتك على ما وصلتْ إليه هذه الموجة الآن من ترويع الآمنين وتحريم الجمال وضرب السياحة والفتنة الطائفية؟

---

(١٣) اللورد كرومر، الاسم الحقيقي إيفلنج بارنج من مواليد ١٨٤١ كان مندوب بريطانيا السامي في مصر من ١٨٨٣ إلى ١٩٠٧ وكان الحاكم الفعلي لمصر الذي ورمزا بارزا لطغيان الاحتلال الإنجليزي لمصر، وعرف عنه بغضه الشديد للإسلام ومقولته: «إن المصريين لن يفلحوا أبدا طالما ظل هذا الكتاب (القرآن الكريم) بأيديهم»، وفي عهده، عام ١٩٠٦، وقعت حادثة دنشواي. يعد أفيلنج بارنج (كرومر) من كبار دعاة التغريب والاستعماريين في العالم الإسلامي وواحد من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعمار ولا يزال، في محاولة القضاء على مقومات العالم الإسلامي والأمة العربية. وتمثل كتاباته في تقاريره وفي كتابه «مصر الحديثة» خطة عمل كاملة وأيدلوجيا شاملة للقضاء على مقومات الفكر العربي الإسلامي، وتمزيق وحدة العالم الإسلامي، ومقاومة القيم والمفاهيم العربية والإسلامية. أمضى اللورد كرومر في مصر ما لا يقل عن ربع قرن قابضًا على زمام السلطات، وكان قبل ذلك قد درس في الهند مناهج الاستعمار البريطاني، وقد عمل أول مرة في مصر مندوبًا لصندوق الدين المصري ١٨٧٧، ثم ما لبث أن عين بعد الاحتلال البريطاني مباشرة مندوبًا ساميًا، ومعتمدًا لبريطانيا، توفي عام١٩١٧.

(●) أقـول لـك: وأنـا أرصـد هـذه الظـاهرة، فهـذا النـوع مـن التفكير أعتقد مثلما قلت لـك عنـدما أقـرأ مثلـه أو أراه فـإنني أرى أمامي وأتذكر ما عانته المجتمعات الإسلامية في مراحل قديمـة، في الأوائـل، أتـذكّر دائـمًا فكـر الخـوارج[١٤]، ومـاأستغرب لـه؛ كيـف استطاع النـاس أن يـستخرجوا ويؤيـدوا هـذه الأفكـار ، وكيـف يقـدمونها للنـاس مـرة ثانيـة في شـكل معلّبـات جديـدة، تـستهوي الشباب، على الرغم من مرور العشرات مـن القـرون، هـذا بـالطبع يدعو إلى الحزن، يدعو إلى الأسف.

---

[١٤] الخوارج هي فرقة إسلامية، ظهرت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب، نتيجة الخلافات السياسية التي بدأت في عهده.

تتصف هذه الفرقة بأنها أشد الفرق دفاعا عن مذهبها وتعصبا لآرائها، كـانوا يـدعون بالبراءة والرفض للخليفة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والحكام من بـني أميـة، كسبب لتفضيلهم حكم الدنيا، على إيقاف الاإحتقان بين المسلمين، في الفتنة الكبرى (سنة وشيعة).

أصر الخوارج على الاختيار والبيعة في الحكم، مع ضرورة محاسبة أمير المسلمين على كـل صغيرة، كذلك عدم حاجة الأمة الإسلامية لخليفة زمن السلم.

وهنا يجب أن نذكر فضل ثورة ١٩ في مصر، أرى - في هذه المرحلة - أن نظرة الدولة أو نظرة المواطن إلى أخيه أصبحت لا تقوم على أساس التفرقة الدينية، ولكن التفرقة الوطنية، نقول: «هذا وطني وهذا ليس وطنيًا». تُرى لماذا؟

أنت لو نظرت إلى مصر، قبل القرن العشرين، تجد أنها كانت تتنفّس مثل هذه البصمات الدينية، لكن في القرن العشرين كان هناك عامل آخر وهو ارتباط مصر واختلاطها بالمجتمعات الأخرى، وحل الانتماء الوطني محل الانتماء الديني. فأصبحت النظر ة إلى المواطنة هي الأساس، انتبه لتلك النقطة خاصة.

ليس المعنى أن أنزع الانتماء الديني أو الصفة الدينية عن المواطن، إنما أصبحت المواطنة هي الأساس في تقييمي له ونظرتي إليه.

فكرة المواطنة تلك تعتبر من أخطر الأفكار التي يجب أن نهتم بها، أساس المواطنة لم يك معنًى ظاهرًا في العصور السابقة، ما كان يُقال: المواطن المسلم، وهذا مسلم، وهذا غير مسلم.

الآن نحن نعيش في ظل دولة حديثة؛ دولة حديثة بفكرٍ حديث ونظام حديث، إذن، نحن مطالبون بأن يكون أساس التمييز، وأساس الانتماء هو الأساس الوطني، الذي يلتصق بالوطن وليس بالدين.

هذا هو التصنيف المطلوب

نعم، هذا هو التصنيف المطلوب، أعتقد أن مصر قد نجحت في هذا، عندما اندلعت ثورة ١٩ انجرف فيها المسيحيون والأقباط، وأصبحوا من وقود هذه الثورة، نتيجة إحساسهم بأنهم ينتمون إلى بلدهم وهكذا. فهذه لها سوابق في تاريخنا الذي يمتد إلى أربعة عشر قرنا، وظهور الخوارج وما أدت إليه هذه الفرقة من ترويع وقتل وإرهاب.

شعار الحاكمية واستخراج المتطرفين له من فكر الخوارج:

الحقيقة التي استغرب لها استكمالا للنقطة التي كنت قد قلتها: مسألة استخراج هذه الأفكار، تجد الخوارج قالوا: «إن حكمها لله». الشعار الذي رفعوه في وجه سيدنا عليّ، على وجه

التحديد، تُفاجأ بأن هذا الشعار يظهر في أُخريات القرن العشرين تحت اسم «الحاكمية لله». المصطلحان قريبان من بعضهما البعض، تكاد أن تكون الألفاظ نفسها.

فماذا قال لهم سيدنا عليّ؟ قال: «كلمة حقٍ يُراد بها باطل»، فلا أحد يقول: لا حكم إلا لله، فالحكم لله في كل الأديان وفي كل المذاهب الإسلامية. إذن مثلما قال - رضي الله عنه- «كلمة حق يراد بها باطل».

الذي أتعجب منه: كيف يكون لدينا مفكرون أو أصحاب عقول يفكرون بهذا النوع من التفكير ويحاولون أن يرغموا الناس على الأخذ به.

ماذا تعني: الحاكمية لله؟! هل معناها أنك أنت بالذات العليا المنزه عن المثل وعن التشبيه وعن القرب وعن الحجم واللون والطعم هي التي ستحكم؟ طبعا لا.. من الذي يحكم في النهاية؟ هو البشر.

طبعًا

والقاضي بشر، القاضي نوعٌ من التحكيم، نوع من الحكم، ليس هناك فرق بين كلمة التحكيم والحكومة.. المعنى هو الحكم.

الاشتقاق..

كلها اشتقاق من مادة واحدة. عندما أقول الآن: إن الحاكمية لله، فكيف يكون؟! هل معنى هذا أنني لا أعترف بالناس القائمين أو بالناس الذين يتولون تطبيق هذه الأحكام؟ بالطبع ليس من المتصور هذا، إذن، تجد أن هؤلاء الناس استهوتهم واستهوتهم الألفاظ البرّاقة والكلمات المنمقة والشعارات التي تخرب الألباب. إنما تأتي في النهاية تجد أن الأخطر من ذلك أنهم يحاولون أن يطبقوا هذه الأفكار بالإرهاب وبالقتل وبالترويع.

عندما أقارن بين فترات التاريخ أجد الشيء نفسه قد حدث ، يقول الشيخ أبو زهرة: «إن من أزمة هؤلاء الناس أنهم لم يجدوا فقيهًا يلتفوا حوله، فمثلًا ؛ نحن أهل السنة اجتمعنا حول الإمام

مالك، الإمام أبي حنيفة، الإمام الشافعي. أما هم فلم يجدوا ذلك الإمام».

الخوارج؟

نعم الخوارج، هؤلاء الفقهاء العظام لديهم المقدرة لأن يربّوا هؤلاء الأولاد، أما هؤلاء فقد نَصَّبُوا من يريدون، يقولون: هذا أمير المؤمنين، وهو الزعيم. تجد أن حظ الفرد منهم ونصيبه من العلم ضئيل جدًا، على حد رأي الشيخ الغزالي يقول: «من لديه عشرة سنتيمترات من الفقه يعتبر نفسه أبا حنيفة. هذا صحيح، تجد الصبي نصيبه من العلم ضئيل لا يفهم مامعنى أصول الفقه، ولا معنى استنباط الحكم، ويعرف كيف تُفسّر الآية، ولا يعرف ، ولا يعرف اللغة العربية واشتقاقاتها، ومع ذلك يُنَصِّب من نفسه أميرًا للمؤمنين أو قيِّما على المجتمع، ويقول: أنتِ لا تسيري في الشارع، وأنتِ لابد لكِ من محرم، وهذا يقول: لا موسيقى، وذاك: لا مزيكا، هذا النوع من التفكير

يحرم ويحلل على هواه

مسألة التحريم والتحليل هذه أو الحلّة مسألة يهتزُّ لها عرش الرحمن؛ لأنها مقررة من قبل ذلك؛ مسائل مقررة بمقتضى أصول الدين. عندما تقول: والله، هذا حلال وهذا حرام، أسألك: مَنْ أنت لكي تقول هذا الكلام؟. وما دليلك؟ وهكذا... هل يمكن أن يُستقَى الدين من أناس في حاجة إلى التعليم وإلى التربية؟!

الإمام مالك كان يتحدث عن علم الحديث فيقول: إن هذا العلم دين - يقصد علم الرواية- ابحثوا عما تأخذون، انظر ممن تأخذ هذا العلم، والحديث يقول: والله إني قد رأيت عند هذه الأفاطين، يشير إلى أعمدة المسجد؛ مسجد الرسول ﷺ ٧٠ من صحابة محمد ﷺ وكلٌّ منهم لو أوتمن على جبلٍ من ذهبٍ لكان أمينًا، ومع ذلك لم يأخذ منهم.. لماذا؟ لأنهم لم يكونوا من أهل هذا العلم.كي تروي عن رسول الله ﷺ فلابد من شروط معينة

طبعًا

وعلماء الحديث وضعوا هذه الشروط القاسية بالضبط والتعديل والجرح، ووضعوا كل القيود وكل المقاييس والمعايير؛ لكي يكون حديث رسول الله ﷺ نقيًا وواضحًا وخاليًا من الوضع والتزوير.

فيأتي الإمام مالك ويقول: أنا آخذ من أي شخص، وهو يعلم من هؤلاء ولا يُشكِّكُ في ذممهم. أمَّا نحن الآن فنجد الصبي الصغير يتعلم الخطبة، وتلقاه يتحكم في رقاب الناس

أمير الجماعة

هذا حلال وهذا حرام، وهذا، هذا.. استخفافا بالدين، وهذا استهذاء بقيم الإسلام، الإسلام له علماؤه وله مجتهدوه وله من يتحدث باسمه. فلا أجرّح كل العلماء وكل الناس وفي الوقت ذاته لا أقبل كل شيء من دون تمحيص.

ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد؛ عند التحريم والتحليل والفتاوى وإفتاء الآراء، وإنما تعدّى به إلى الإرهاب والترويع والعنف..

لا، مازلت أكمل لك الحديث، لم ندخل بعد في الإرهاب، أنا أكلمك عن مسألة الفهم الديني.

نعم

فهم يرفضون جميع من يتحدث أو يتكلم باسم الإسلام، ماعدا من يقرّونهم بأنفسهم..فالأزهر مرفوض، المفتي مرفوض، أساتذة الجامعة مرفوضون. العلماء الذين يتكلمون في التليفزيون مرفوضون، في الصحافة مرفوضون، كله رفض.. فمن ياسيدي – إذن - تعتمد عليه أو تعترف به؟ يقول لك: الأخ فلان.

لا حول ولا قول إلا بالله.. من هؤلاء؟

الأخ فلان ما نصيبه من العلم؟ صفر. وعندما يتكلم.. يتكلم باللغة القديمة، يستخرج لك من الصفحات الصفراء أشياءً انتهت، ويرجع للكتب –مثلما قلت لك– يرجع إلى كتب الخوارج

وفقههم وأفكارهم، ويدخل بك في متاهات من الصعب أن تستخرجها؛ لأن من ملامح فكر الخوارج التعصب الشديد لفكرهم، والتمزق الشديد لمعتقداتهم، ورفض كل ما عداه.

وتكفير من عداهم!

وهذا الذي يسمونه في الفقه: التنطُّع، أن يقف عند فكرة مُعيَّنة ويلتزم بها، ويرفض ما عداها.

فماذا تكون النتيجة؟ تكون النتيجة التعصّب الشديد فيكفروا بعضهم بعضا؛ لأن الخوارج انقسموا خلال سنوات قليلة إلى عشرين فرقة، وكل منهم تُكفِّر الأخرى.

مثلما يحدث الآن.

الضبط.. كما يحدث الآن، تسمع عن الناجين من النار والشوقيين والـ..الخالديين.. عشرات.

في مرة سألت مسؤولًا فقال: عندنا -أظن أنه قال- ٣٦ فرقة.. تخيّل. وكل منهم ترى أنها في الجنة والآخرين في النار.

هذا نوع من الخبث يدعو أن نعيد النظر في كل هذه الأوضاع القائمة، ونأخذ بأيدي هؤلاء الشباب.

أريد أن أقول لك نقطة: هؤلاء الشباب بهم براعة وطُهر وعفة.. من المفروض ألا نترك هؤلاء الصغار لقمة سائغة لهم؛ لكي نستدرجهم ونستقطفهم من عناصر الخلل والاضطراب وعناصر الفساد، لا ينبغي أن نتركهم، من المفروض أن نهيأ لهم التربية الصحيحة ، الفقه الجيّد، العلم الأصيل.

وفرص العمل.

لا، أنا أتكلم عن التكوين الفكري، لم أتطرق للظروف الاجتماعية، إنما أتكلم على الأساس الفكري لديهم، أنت تعرف أن الإنسان في سن معينة يبقى دائمًا صاحب طموح لأن يكون شيئًا، أن يكون له ذكر، أن يكون له اسم، هي سن ١٧، ١٨. يريد أن يكون معروفًا مشهورًا، أن تكون له قيمة. عندما يرى نفسه في داخل تنظيم سري-هذه خطورة التنظيمات السرية- يضفي عليه الأهمية، يشعر أن تعليمات ستأتيه؛ الساعة كذا لا بد أن تكون

موجودا في المكان الفلاني، لا تسأل عن كذا. هذا يعطيهم شيئًا من الأهمية، فيصبح أداة تحركها هذه التنظيمات. بعد ذلك يؤمر أن اقتل فيقتل. مثلما يحدث. بالمناسبة أتذكر تنظيمًا مثل تنظيم الحشاشين الذي ظهر على يد «الحسن الصباح»[١٥] في القرن الخامس. ارتكبوا من الفظائع ومن الجرائم ما روّعوا به العالم الإسلامي.

الذين هم في الإسماعيلية..

(●) هم من الإسماعيلية.. الإسماعيلية منهم: القرامطة، ومنهم الحشاشون، أخرجوا إلينا كثيرًا من التنظيمات السرية، لكن براعتهم كانت في هذه التشكيلات السرية.

أريد أن أوضح شيئًا لئلا يتصور الناس أني أقصد الإسماعيلية المدينة، فرقة الإسماعيلية إحدى فرق الشيعة بمعنى..

---

[١٥] **حسن الصباح** أو **حسن بن على بن محمد الصباح الحميري**، ولد(٤٣٠هـ ١٠٣٧م) في إيران وتوفي (٥١٨هـ/١١٢٤م) في إيران أيضا، والملقب **بالسيد** أو **شيخ الجبل** هو مؤسس مايعرف بـ **الدعوة الجديدة** أو **الطائفة الإسماعيلة النزارية المشرقية** أو **الباطنية** أو **الحشاشين** حسب التسمية الأوروبية.

بالضبط إحدى فرق الغلاة من الفرق الشيعية، وتلك كان لها دورٌ كبيرٌ جدًّا ، أثمر هذا التنظيم وهذه الفرقة المسماة بفرقة الحشاشين، التي ظهرت في إيران ، واستخدمت الاغتيال؛ قتلوا الوزير العظيم نظام الملك[١٦]، قتلوا كثيرًا من العلماء، اعتدوا على حياة صلاح الدين الأيوبي، ولم يخفف من نظرتهم له أنه يقود العالم الإسلامي ضد الصليبيين، تآمروا عليه، تآمروا مع الصليبيين على قتله.

إذن تاريخ المسلمين – ولا أقول تاريخ الإسلام- شهد هذا النوع من الفرق المغالية، الفرق المتطرفة، الفرق الإرهابية.. ولكن النهاية أين هم؟ اندثروا، انتهوا، أصبح الإسلام قويًّا متينًا مُستقرًّا في القلوب. انظر إلى عالم الإسلام الآن.. من أين يمتد وإلى أين، شمالًا وجنوبًا. يدلّك هذا على عظمة هذا الدين وعلى مدى قوته؛

---

[١٦] **أبو علي حسن بن علي بن إسحاق الطوسي، المشهور بنظام الملك**: (١٠ أبريل ١٠١٨/٢١ ذو القعدة ٤٠٨هـ – ١٠ رمضان ٤٨٥هـ/١٤ أكتوبر ١٠٩٢) أشهر الوزراء في الدولة السلجوقية، من عظماء الرجال في التاريخ الإسلامي، ارتبط اسمه بالمدارس التي أنشأها، وعُرفت بالمدارس النظامية.

لأنك لو رأيت دينًا تعرّض لمثل ما تعرض له الإسلام من هذه الجروح الكبيرة وهذه الدماء الغزيرة التي أُهدِرت، لا يزال مع ذلك قويًّا مُزدهرًا في قلوب أبنائه. هل انتصرت هذه الفرق، أين الحشاشين؟... أين القرامطة؟ اندثروا.. أين الزنج؟ أين.. أين..

الخوارج.

الخوارج، مع أنني ما زلت أقول لك: لقد بدأنا نرى أفكار الخوارج تُستحضَر وتُستَخرَج ونراها الآن أمامنا في أُخريات القرن العشرين الميلادي وأوائل الخامس عشر الهجري.

ألمح إلينا الأستاذ جمال بدوي في الجزئية الخاصة بالفرقة الإسماعيلية وبالحشاشين إلى الشيعة وإيران، يذكّرنا هذا بما في الساحة المعاصرة، إذ نجد هذه الأسماء نفسها تُطرح مرة أخرى.

مسألة إيران والظروف التي تكوّنت فيها إيران ظروف يجب أن تكون واضحة في أذهاننا، هذا الشعب الفارسي شعبٌ له ملامح خاصة، يكاد يكون معاصرًا لمصر في تكوينها القديم، هو أحد الشعوب القديمة، له ظروف ثقافية خاصة، له أديان خاصة.

طبعًا أنا أتكلم قبل الإسلام، ظهور زرادشت، ظهور ماني، ظهور كل الديانات التي ظهرت قبل الإسلام فيه.

طُبع الشعبُ الإيراني بطابع معين، يقدس الحاجة. أردت أن أقصّر لك الفكرة، أتيت بها لك من البداية، لماذا نعاني من إيران هذه المعاناة الآن؟ إنهم في الأصل لهم بصماتهم في تاريخهم، هم كانوا مثلنا؛ الفراعنة قديمًا... كنظرتنا إلى الفرعون

إلى الفرعون على أنه إله.

بالضبط، فالذي حدث معنا حدث أيضًا معهم في نظرتهم لأسرة ساسان مثلًا، أسرة حكمت إيران ٤٠٠ سنة قبل الإسلام، عندما ظهر الإسلام اعتنقه كثير من الإيرانيين وفي أعماقهم هذه الأفكار.

لغة الجاهلية في داخلهم ..أعني الجاهلية الإيرانية.

نعم، كما حدث، أردت أن أقول لك: ليس من أحد ينتقل من دين إلى دين وهو متطهر من بصمات الدين القديم..

مستحيل.حتى في الجاهلية كقول الرسول ﷺ لأبي ذر «إنك يا أبا ذر فيك جاهلية»عندما وجده يتصرف بطريقة..

فيها بعض الحمية.

نعم، فيها حمية، فيها شيء من التعصّب، فيها شيء من القبليّة، العصبية القبلية، عندما سبّ واحدًا من زملائه. فإذن

تظل بعض الرواسب.

نعم تظلّ، فالذي حدث أن الإيرانيين انتقلوا إلى الإسلام وبهم تلك الرواسب؛ الالتفاف حول بيت البيت المالك.. البيت المالك اندثر، المسلمون قضوا عليه في معركة نهاوند(١٧)، وأطاحوا بالدولة الفارسية وبأسرة ساسان، لكن لا يزال عشق أو حنين الإيرانيين الفرس إلى هذا النوع من البيوت المالكة قائمًا، يريدونه،

---

(١٧) **معركة نهاوند**: من المعارك الفاصلة في الفتح الإسلامي لفارس، وقعت في خلافة عمر بن الخطاب، سنة ٢١هـ (٦٤٢ م) وقيل سنة ١٨ أو ١٩ هـ قرب بلدة نهاوند في فارس، وانتصر فيها المسلمون انتصارًا كبيرًا بقيادة النعمان بن مقرن على الفرس الساسانيين، إلا أن النعمان قُتل في المعركة. بانتصار المسلمين انتهى حكم الدولة الساسانية في إيران بعد أن دام حكمها ٤١٦ عامًا.

لكن كيف؟، دخلوا الإسلام فبدأوا يبحثون عن اسم ، وكان هذا الاسم هو اسم من أعزّ الأسماء إلينا جميعًا، اسم سيدنا علي بن أبي طالب.

عملوا البيت الهاشمي أو البيت العلوي؛ علي وزوجته فاطمة، السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، والبيت هو البيت العلوي. وبدأوا في نصب شيء من القداسة حول هذا البيت فلماذا سيدنا عليّ رضي الله عنه خاصة؟

هل من الممكن أن يكون قد أتى صدفة؟ قالوا: إن علي وفاطمة وأولادهما أشرف الناس في الإسلام. نحن لا نقل مثل هذا؛ الإسلام ليس فيه من مثيل هذا بالوراثة.

بالطبع.

فكان اجتماع الثقيفة واختاروا أبا بكر وبعد ذلك تم اختيار عمر وهكذا، فهم بحكم تكوينهم انظر إلى ما حدث مثلا في آخر معركة – نهاوند- وقع في الأسر ثلاث بنات من بنات الملك «يزداجورد»، و جِيء بهن إلى المدينة .

نعم.

فأراد سيدنا عمر أثناء توزيعه السبي على المسلمين أن يوزع البنات.. بنات الملك، كبقية البنات، فقال له سيدنا عليّ: لا، فهن بنات ملك، فلا بد أن يوزعن بطريقة تتناسب مع مكانتهن. فوزَّع الثلاثة على أبناء الصحابة الثلاثة،هم: الحسين بن عليّ له سلافة، فأنجب منها عليّ زين العابدين. وعبد الله بن عمر واحدة.. فكانت نصيحة أو مشورة سيدنا عليّ بأنهن لا ينبغي أن يتركن.

أيضًا تكريمًا لهن.

نعم بالضبط، فلما كان هذا النسب، اعتبر الفرس أن هذا النسب تشريفًا، وجعلوا من علي زين العابدين إماما.. وبدأوا في الالتفاف حول هذا البيت؛ لأن لهم فيه عِرض، ولهم فيه نسب.

تلك إذن هي بداية التشيع.

نعم.. تلك هي بداية التشيّع.

نعم

لكن صُبَّ الزيت على النار بعد حادثة كربلاء[١٨]، أخذ التشيع يأخذ شكلًا مذهبيًّا، ويأخذ فرقة، وفلسفة معينة، وأهدافًا محددة، وحزبًا له اتجاهاته، لم يكن لهذا الحزب أي هدف أو ملامح إلا بعد حادثة كربلاء، ما قبل ذلك كانت مجرد آمال وطموحات وتمنيات في قلوب الإيرانيين.

لكن بعد كربلاء والفجيعة التي حدثت بمقتل الحسين والنهاية المأساوية التي انتهت بها حياته، أخذت تصبّ البنزين على النار، فجعلت من الفكر الشيعي فكرًا تنظيميًّا، فقالوا: إنه صار حزبًا، كان حزب الخوارج ظهر قبل ذلك في معركة صفين[١٩] سنة ٣٧.

---

[١٨] **معركة كربلاء** وتسمى أيضاً **واقعة الطف** هي ملحمة وقعت على ثلاثة أيام وختمت في ١٠ محرم سنة ٦١ للهجرة الذي يوافق ١٢ أكتوبر ٦٨٠م، وكانت بين الحسين بن علي بن أبي طالب ابن بنت نبي الإسلام، محمد بن عبد الله، الذي أصبح المسلمون يطلقون عليه لقب «سيد الشهداء» بعد انتهاء المعركة، ومعه أهل بيته وأصحابه، وجيش تابع ليزيد بن معاوية.

[١٩] **واقعة صفين** هي المعركة التي وقعت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان في سنه ٣٩ هجرية. وحصلت بعد معركة الجمل.

هجريًا.

(●) لكن كربلاء كانت سنة ٦١، خلال تلك السنوات كان الفكر الشيعي ينمو شيئًا فشيئًا، لكنه ينمو بحذر؛ لأن معاوية[٢٠] كان موجودًا، لا يقدرون على معاوية، معاوية خليفة من أربعين لستين.

كان قويًا..

(●) نعم، لكن في سنة ٦١ بعدما مات معاوية، كأن تقول مثلًا: «إن هذه الصخرة الكبيرة وقعت من أمامهم»، فبدأت الحركات المناهضة تظهر، سواءً كانت الخوارج أو الشيعة.

---

[٢٠] **معاوية بن صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الأمويّ** المعروف **بمعاوية بن أبي سفيان** كنيته أبو عبد الرحمن، هو أحد أبناء أبو سفيان بن حرب وأول خلافاء الدولة الأموية، كان والياً على الشام زمن خلافة عثمان بن عفان، وبعد حادثة مقتل عثمان أصبح علي بن أبي طالب الخليفة بعده فحاربه معاوية إلى ان قُتل علي من قبل ابن ملجم، ثم تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية وفق عهد بينهما. أسس معاوية الدولة الأموية واتخذ دمشق عاصمته، أخذ البيعة لابنه يزيد قبيل وفاته.

فالشيعة بعد حادثة كربلاء اتخذوا منها أداة، وأخذوا منها وقودًا لاشعال النار في قلوبهم أولا وفي العالم الإسلامي ثانيًا.

أمّا بخصوص إيران: فالذي حدث أن هؤلاء الناس دخلوا الإسلام — مثلما قلت لك -- وفي نفوسهم هذا النوع من التفكير، بدأوا يُدخِلون في الفكر الإسلامي بقايا من أفكارهم القديمة؛ مثل فكرة العصمة.. أولًا الإمام: لابد أن يكون هناك إمام، أما نحن فنقول خليفة في أهل السنة.

بدأوا يُضْفُون على هذا الإمام صفات القَدَاسة، أصبح معصومًا من الخطأ، أصبحت تأخذه فكرة التقية.

كل هذه الأفكار دخلت الفكر الشيعي عن طريق الإيرانيين والفرس، بدأوا ينظرون إلى الإمام نظرة مُقدَّسة، لا يخطأ، مباح له أن يفعل كل شيء، لديه علم لدنّيّ، علم سرّيّ.من أين أتى بهذا؟! تسمع روايات وقصصًا، أنه أخذه من فلان وفلان من سيدنا علي، وسيدنا علي أخذ..وهكذا.

بدأت تتسلّل إلى الفكر الإسلامي أشياءٌ جديدة ما كانت موجودة فيه، إذن، دخلوا الإسلام بهذه المعتقدات.

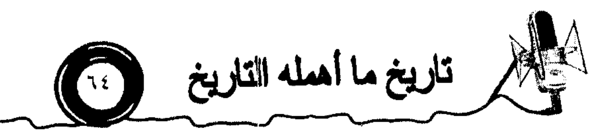
كيف نربط هذا بالحاضر وما يحدث الآن؟

نعم، انظر إلى الحاضر الآن، أنت تعرف أن الشيعة حكموا مصر ٢٠٠ سنة.

في العصر الفاطمي.

في العصر الفاطمي، وهذا يدلك على مدى رسوخ الفكر المعتدل عند المصريين؛ لأن المصريين أخذوا الإسلام من المنابع الأولى ومن المصادر الصافية الأولى؛ لأن الفضل في هذا يعود إلى أن مصر كانت قِبلة لعددٍ كبيرٍ جدًّا من أئمة الصحابة. هؤلاء حفروا التيار السنّي في مصر، وحفروا لهم مجرًى عميق.

لما فُرِض علينا الوجود الشيعيّ الفاطميّ سنة ٣٥٨هـ، أي بعد نحو ثلاثة قرون ونصف وجدوا مصرَ سُنيّةً، بذلوا المستحيل وعملوا من الإجراءات العنيفة وبالقوة؛ كي يحولوا مصر إلى دولة شيعية.



- هنا نتساءل: هل نجحوا في ذلك؟

لا.

أنا أقول لك لم ينجحوا، ومع ذلك تشعر أنه لا زال عندهم الحنين إلى العودة إلى مصر، ويتمثل هذا في أشياء كثيرة جدًّا.

سأحكي لك قصة طريفة جدًّا.. قصة لم أعشها، لكن حكاها لي الصديق عبد الوهاب مطاوع[٢١]؛ عبد الوهاب كان من الذين

---

(٢١) **عبد الوهاب مطاوع**، (١١ نوفمبر ١٩٤٠دسوق - الأحد ٦ أغسطس ٢٠٠٤القاهرة) صحفي مصري شهير راحل، كان يشغل منصب مدير التحرير في جريدة الأهرام المصرية قبل وفاته، حيث كان محرراً وأشرف على باب بريد الجمعة الشهير، الذي كان يتلقى آلاف الرسائل شهرياً منذ عام ١٩٨٢ وحتى لحظة وفاته، كما كان محرراً لصفحة بريد القراء اليومية.

لقب عبد الوهاب مطاوع بلقب «صاحب القلم الرحيم»، حيث كان يتصدى شخصياً ومن خلال مكتبه وطاقمه المعاون لمساعدة الناس وحل مشكلاتهم سواء كانت مادية أو اجتماعية أو صحية.

كان عبد الوهاب مطاوع يستخدم أسلوباً راقياً في الرد على الرسائل التي يختارها للنشر من آلاف الرسائل التي تصله أسبوعياً، حيث كان أسلوبه في الرد على صاحب المشكلة أسلوباً أدبياً، يجمع بين العقل والمنطق والحكمة ويسوق في سبيل ذلك الأمثال والحكم والأقوال المأثورة، وكان يتميز برجاحة العقل وترجيح كفة الأبناء وإعلاء قيم الأسرة فوق كل شيء أخر.=

يعتادون «قهوة الفيشاوي»[٢٢] في السبعينيات، كان المرحوم المطرب المعروف محمد الكحلاوي[٢٣] يسهر معهم هناك، كان رجلًا صوفيًا

=حرر باب بريد الجمعة لما يقرب من ربع قرن من الزمان، وفي عهده انتشر بابه الأسبوعي وأصبح من أسباب زيادة التوزيع لعدد الجمعة. أهم ما كان يميز شخصيته هو جديته في العمل، وتواضعه مع كل من حوله، والدقة في التعامل مع مشكلات وتبرعات القراء.

(٢٢) **قهوة الفيشاوى**، مقهى في خان الخليلي بالقاهرة. يعتبر من أشهر وأقدم المقاهي في القاهرة، فتحها الحاج فهمي علي الفيشاوي سنة ١٧٧٢ في عهد والي مصر محمد بك أبوالدهب. اشتهر المقهى بتقديم الشاي الأخضر بالنعناع الطازة.

وللمقهى تاريخ عريق، ومن أشهر رواده الأديب الكبير نجيب محفوظ. ويشهد المقهى فى السنوات الاخيرة ازدحاما غير مسبوق فلا يجد الزائر مكانا للجلوس فيه من كثرة الزوار من المصريين والأجانب لشهرته الواسعة.

(٢٣) **الكحلاوي**: نشأ نشأة دينية عربية في منيا القمح بالشرقية في أسرة عربية، وقد ألحقه خاله بمدرسة فرنسية للراهبات درس بها خمس سنوات، وفي الوقت نفسه كان يحفظ القرآن ولما لم تعجبه الدراسة بالمدرسة الفرنسية ألحقه خاله بالتعليم الديني الأزهري فأظهر تألقًا ساعده عليه حفظه للقرآن كاملاً، واستمر في التعليم الأزهري، وكان لدراسته الدينية أبلغ الأثر في إتقانه للغة العربية وتصحيح مخارج ألفاظه واستيعابه للنصوص العربية والشعر العربي، ومكنه بعد ذلك من إلقاء الشعر والقصائد والمدائح النبوية.

وقد اتجه الفنان الشاب إلى الغناء البدوي الذي تعلمه جيدًا أثناء سفره، فكوّن في بداية حياته ثلاثية جميلة مع بيرم التونسي بالكتابة وزكريا أحمد بالتلحين وهو بالغناء، واستطاعوا أن يظهروا لونًا غنائيًا لم يكن موجودا على الساحة الغنائية آنذاك، هو الأغنية البدوية، التي وجدت قبولاً، وساعد على انتشارها وتخليدها أنها كانت بمثابة تابلوهات غنائية في الأفلام التي شارك فيها الكحلاوي التي كانت كفيلة بإنجاحهاوقد قلده عدد كبير من الفنانين=

متدينًا، ففي يوم سأل وقال: «لماذا لا نقيم مولدا لسيدنا علي، كما نقيم مولد سيدنا الحسين، والإمام الشافعي، و السيد البدوي؟»

فأخذ الكلمة، وكتب عبد الوهاب خبرًا من سطرين في الصفحة الأخيرة من الأهرام، مجرد سطرين، وبعد ذلك لا تتخيل ماذا جرى؟!

جاء علماء وعظماء الشيعة من كافة أنحاء العالم الإسلامي بالطائرات

أيعقل هذا؟.

التقوا مع المطرب الكحلاوي كي ينظموا كيفية عمل مولد سيدنا علي.

=وعلى رأسهم فريد الأطرش، وهو ما جعله يبحث عن مجال آخر للريادة والتميز فكانت الأغنية الشعبية.

بدأ محمد الكحلاوي التمثيل نجمًا فكان أول أفلامه من إنتاج «أولاد لاسة» وبطولة كوكا وسراج منير. وقد كوّن الكحلاوي ثاني شركة إنتاج في الوطن العربي وهى (شركة إنتاج أفلام القبيلة) أراد بها صناعة سينما بدوية فتخصصت في الأفلام العربية البدوية مثل «أحكام العرب» و«يوم في العالي» و«أسير العيون» و«بنت البادية»، وغيرها والتي شارك فيها بالتمثيل.

أحكي لك هذه القصة لكي أدلل على مدى حنين إيران ورغبتها في السيطرة أن تعود بنفوذها في مصر عن طريق الفكر الشيعي.

الشيء الذي نسيت أن أذكره لك: إن إيران دولةٌ قديمةٌ لها طموحات، عندها تطلعات، عندها من ضمن الاستراتيجية أن تتحكم فيما حولها. هذه طبيعة الشعب..

الإيراني.

الشعوب الإيرانية؛ لأنها ليست شعبًا واحدًا، بل هي مجموعة شعوب، فيهم الفرس، وفيهم التركمان[٢٤]، وفيهم الأكراد[٢٥]، عدد كبير من الشعوب. نحن نقول: إن الشعوب

---

[٢٤] هم أفراد العرق التركي الموجود في وسط آسيا أو ما يسمى حاليا تركمنستان وآسيا الصغرى، ويتحدثون مجموعة من اللغات التركية المنبثقة من اللغات الألطية (Altaic Languages). و يبلغ تعدادهم حول العالم حوالي ١٦,٦ مليون نسمة.

[٢٥] **الأكراد**: هم شعوب تعيش في بعض دول الشرق الأوسط وهي: إيران (جنوب غرب)، العراق (شمال شرق)، تركيا (الجنوب)، سوريا (أقلية صغيرة).

الإيرانية، يعني من أصول قديمة، شعب لديه رغبة شديدة جدًّا في الهيمنة على منطقة الخليج.

هو يعلم أن «البعبع» له في هذه الهيمنة هي مصر، طوال عمره، تقف دائمًا مصر دفاعًا عن الأمة العربية في مثل هذه الأمور.

فمصر قد تبدو في بعض الأحيان أو الظروف نائمة، غافلة، عينها غافلة، عين واحدة، لكن العين الثانية مفتوحة ترقب ما يجري في العالم العربي والعالم الإسلامي، عندما ترصد وجود تدخّلات تُهدّد الأمن القومي العام، الأمن القومي بمعنى الأمة العربية كلها.. تراها تنتفض وتنفض عن عيونها الكَرَى، وتبدأ في ممارسة دورها في الدفاع عن الأمة العربية.

نعم.

هذا ما يحدث في كل مرة، وآخرها ما حدث في حرب الخليج عندما اعتدى..

حرب الخليج: الكويت.

أنا أقصد هذا. ويحضرني في هذا المقام، على سبيل المثال: حنينهم إلى استعادة مسجد الحاكم بأمر الله[٢٦]، وأنت كما تعلم من هو الحاكم بالنسبة للدولة الفاطمية.

طبعًا.

ترى مثلًا طائفة البُهرة وهي آخر فئة من فئات الشيعة الإسماعيلية، لم تبق الآن من الفرقة الإسماعيلية إلا اثنتان: الأخانية والبهرة.. بهرة يعني التجار، بمبايو واليمن والهند.

ومع ذلك بعد مئات السنين أتوا واستردوا هذا المسجد، ولو ترى الآن ماذا انفقوا عليه، انفقوا عليه ملايين الجنيهات.. لماذا؟

مسجد الأنور؟

---

[٢٦] **جامع الحاكم بأمر الله:** مسجد بني عام ٣٨٠ هـ في عهد العزيز بالله الفاطمي الذي بدأ في سنة ٣٧٩هـ (٩٨٩م) في بناء مسجد آخر خارج باب الفتوح ولكنه توفي قبل اتمامه فأتمه ابنه الحاكم بأمر الله ٤٠٣هـ (١٠١٢-١٠١٣م) لذا نسب إليه وصار يعرف بجامع الحاكم.

(●) نعم، الذي يسمونه العامة: الأنور، أو مسجد الحاكم بأمر الله.. ومقصورة الحسين من الذهب ومقصورة السيدة زينب من الفضة، كل هذا يدلك على..

طبعًا هذا تسلل شيعي.

(●) نعم، أضف إليه ما رأيته من خطباء المساجد، الآن يؤلمني ويزعجني أن أجد أن بعضهم يتكلم بالنغمة الشيعية. جاءني من مدة قريبة صاحب مسجد – فلقد أصبحت المساجد الآن بالتمليك- جاء يكلمني بأن عنده خطيبًا كل كلامه دعوة إلى المذهب الشيعي. قلت له: كيف تسمح؟ قال لي: ماذا أفعل؟

هل معنى الحرية التي نتمتع بها: أن يُطلق لكل مذهبٍ ولكل فكرٍ أن يتسلل إلى مصر وأن يوجد لنفسه قدمًا ويضعها؟ وهل من الصحيح أن نترك الفكر الشيعي يمتد ويعود مرةً أخرى عن طريق...

بالطبع لا، هناك فرقٌ كبيرٌ بين الحرّية والفوضى.

(●) تمامًا، هذا ما أقوله، ينبغي أن ننتبه إلى مسألة الفكر الشيعي والرَّغبة في الاستحواذ أو استهواء الشباب، مستغلين في ذلك حُبنا نحن المصريين لأهل البيت.

وأنت تعلم كيف أن المصريين يحبون أهل البيت، يستغلون هذه النقطة فتكون المدخل.

الإرهاب هذا الذي نراه في كل مكان ..

(●) نعم، بالطبع.

في هذه الجزئية أتوجّه للصحفي الكبير الأستاذ جمال بدوي بسؤال عن شهادتك على موقف الإنسان المصري من هذه الظاهرة الآن.. هل حدث ثمّة تغيّر؟

(●) الإنسان المصري الآن هو الإنسان المصري نفسه منذ عشرة قرون، يرفض رفضا تاما التطرف، أنا أيضًا لا أريد أن أقول تطرُّفًا، لكن أصبح التعبير شائعًا الآن.

خذ على سبيل المثال: ما جرى بعد دخول الإسلام مصر وبعد ظهور الأحزاب. حزب الخوارج لم يجد له قدمًا في مصر، والشيعة لم

يجدوا لهم قدمًا في مصر، وهكذا عبد الله بن الزبير. فتجد أن كل نزعات التطرف أو الغلو، لم تجد لها قدمًا؛ لأن مصر مثلما قلت أخذت الإسلام من هذا النبع الصافي المتوازن.

الوسطية والاعتدال...

الوسطية والاعتدال؛ لأن هذا أصل جزء من تكوينات الشخصية المصرية في كافة العصور، في مصر م يتغير.. فمصر بطبيعتها معتدلة بحكم الزراعة والنيل والاستقرار.

وموقعها المتوسط.

والاستمرار والانبساط في الأرض، أشياء كثيرة يمكنك الرجوع فيها للدكتور جمال حمدان[٢٧].

---

[٢٧] **جمال حمدان**، (٤ فبراير ١٩٢٨م - ١٧ أبريل ١٩٩٣م) أحد أعلام الجغرافيا المصريين، كان جمال حمدان صاحب السبق في فضح أكذوبة أن اليهود الحاليين هم أحفاد بني إسرائيل الذين خرجوا من فلسطين خلال حقب ما قبل الميلاد، وأثبت في كتابه «اليهود أنثروبولوجيًا» الصادر في عام ١٩٦٧، بالأدلة العملية أن اليهود المعاصرين الذين يدعون أنهم ينتمون إلى فلسطين ليسوا هم أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد، وإنما ينتمي هؤلاء إلى إمبراطورية «الخزر التترية» التي قامت بين «بحر قزوين» و«البحر الأسود»، واعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي، قام الموساد الإسرائيلي باغتياله في ١٩٩٣م.

عبقرية المكان.

عبقرية المكان.. الشخصية المصرية، الذي أراه أن المصريين عندما ترى أعينهم عمليات اعتداء على حريات الناس، وحرماتهم، تلح عليهم مسألة التطرف.

وعلى أرواحهم.

وعلى أرواحهم أو يسمعون كلامًا وأفكارًا غريبة عليهم، هنا تجد المصري ينتفض. في البداية يتم استدراج الشباب واستقطابهم للأفكار المتطرفة، عن طريق طرح أفكار مغلفة بها يستهوي هذه الفئة من الشباب، فيتوهم الشاب جمال الفكرة ويرى أصحابها يذهبون إلى المسجد للصلاة فيتبعهم دون أن يدرك خطورة ذلك في بادئ الأمر. إلى أن تتكشف الأمور فيرفض كل هذا.

إذن حدث تغيير .. بدأ التغيير الذي تقصده، لأنه كان في البداية غير منتبه للخطورة وتنبه لها الآن.

(●) تنبه الآن بعدما رأى مسألة الاعتداء على السائحين مثلا، وسرقة محلات الذهب، فيتساءل كيف يكون ذلك من الدين؟ من المفروض أن نعصم أو نبرأ الدين من هذه الأعمال الإجرامية.

بالطبع.

(●) مسألة الاعتداء على غير المسلمين وهكذا.

هناك شواهد كثيرة جعلت الشعب المصري ينفر بطبيعته من مثل هذه الأعمال الإجرامية. لكن من المفروض أن نضعها في حجمها الحقيقي، اتفقنا على أن نقول: هذا إجرام

نعم.

(●) فلا نقل: تطرفًا دينيًا، لأنني أظلم الدين عندما أقول هذا الكلام.

ليس من الدين في شيء.

(●) ليس من الدين، إنما أقول: عملا إجراميا.. لأنها في النهاية جماعات تريد سرقة محلات الذهب. مسألة ربط الدين أو الإسلام بهذا ظلم للدين والإسلام، ويجب أن يكون الإسلام بريئا منه،

ولذلك نحصر هؤلاء المجرمين أو القتلة في هذا المنحنى ونقول عنهم: «إنهم أناس يرتكبون أعمالًا إجرامية».. هذا ما أقصده.

التحول من الإخوان إلى حزب الوفد

نعلم أنك نشأت في كنف الإخوان المسلمين، ولكن بعد ذلك تحوّلت إلى الفكر الليبرالي تحت راية حزب الوفد. فما هي قصة هذا التحول؟

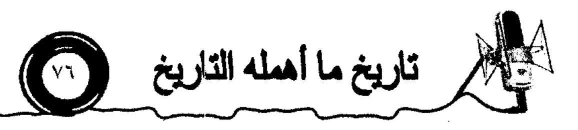
هذا التحول له سوابق تاريخية كثيرة جدًّا عند كثير من الكتاب والمفكرين، عندما يتفرّغون للتأمّل الداخلي فيحصل لهم هذا التحول.

فما حدث لي هو أن هذا التحول حدث منذ أن وقع الاعتقال؛ أُعْتُقِلْتُ في سنة ٥٤ وفي داخل المعتقل..

لماذا هذا الاعتقال؟

أُعْتُقِلْتُ بسبب وجودي في الإخوان.

نعم، أيام الصِّدام بين الثورة وبين الإخوان.



نعم، بعد حادث المنشيّة[٢٨]، ومكثت نحو عامين في المعتقل.

من مميزات المعتقل - إذا كان له مميزات- أنه يعطيك شيئين جميلين؛ الشيء الأول: تتفرغ للتأمل الذاتي. والثاني: يعطيك فرصة للجّدل والمُساجلة والحساب مع الناس الموجودين، وتخرج في النهاية برأي ما حول ما جرى، وأسبابه، والمستقبل إلى آخره.

فهذا التأمل جعلني أهتم اهتمامًا كبيرًا جدًّا بمسألة الحرّيات وضماناتها، مثلًا: أنا اختلفت مع الحاكم فسجنني، فإذن لابد أن تكون هناك ضمانات تمنع هذا، فجعلني، بتطور التفكير، أنتهي إلى أنه لابد للنظام الإسلامي أن تتحقق فيه تلك الضمانات، فهل هي موجودة أو غير موجودة؟ بدأتُ أفكّر، وأستعيد معلوماتي الثقافية حول النظام السياسي في الإسلام. الميزة الثانية: أنها أعطتني هذه المُساجلات والمناقشات.

---

[٢٨] **حادثة المنشية:** هي حادثة إطلاق النار على الرئيس جمال عبد الناصر، في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ أثناء إلقاء خطاب في ميدان المنشية بالإسكندرية بمصر. وقد تم اتهام الإخوان المسلمين بارتكاب هذه الحادثة وتمت محاكمة وإعدام عدد منهم.

الحرية:

والحوارات مع موروث الفكر الإسلامي.

نعم والحوارات، قطعًا هذه المساجلات ألقت مزيدًا من الضوء حول قضية الحرّيّة. لماذا دخلنا المعتقلات؟ وما السبب؟

وكيف لا تتكرر هذه الأمور؟ هذا كله جعلني أهتم كثيرًا، ويتعمّق بالحرية، من الممكن أن أكون قبل هذا شابا له طموحات، أتطلّع إلى الحكم، أتطلّع إلى الشهرة، أتطلّع إلى المجد، لكن نتيجة الاعتقال أدركت مدى أهمية الحرية في حياة الإنسان، وأنه من دون حرية لن يتحقق شيء، هذا هو السبب الأول، أو المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية: الحقيقة أنني بعدما عبرت مرحلة العمل الصحفي في البداية، وأنا في الخليج أُتيح لي أن أتفرغ للقراءة، فقرأت تاريخ الإسلام كله من منابعه الأصلية الأولى، وبعد ذلك قرأت تاريخ مصر، وربطت بين الاثنين، عندما ربطتُ بين الاثنين اكتشفت أن مصرَ بحكم تكوينها البشري وتكوينها التاريخي في حاجة إلى صياغة لنظام الحكم تتناسب مع هذه الطبيعة ومع هذا

التكوين. فوجدت أن الصيغة التي توصّل إليها المصريون بعد ثورة١٩ هي أنسب صيغة تناسب مصر وهي الصيغة الديمقراطية، إن يكون لدينا أحزاب، وبرلمان، وحكومة مسؤولة أمام البرلمان، وحاكم مسؤول أمام الشعب، وخطاب بسحب الثقة. إذن كل هذه الضمانات.

هل توجد ضمانات الحرية؟

يوجد مجلس الدولة، محاكم، قضاء، تلك هي ضمانات الحرية. قبل أن أنهي هذه النقطة أود أن أوضح لك أن النظام السياسي في الإسلام هو من أعظم النُّظُم التي عرفتها البشرية. إنما المُهم أن هذا النظام لابد أن يكون متوائمًا مع ظروف العالم في القرن العشرين. لا بد أن يكون متوافقًا مع طبيعة المجتمع الذي نعيش فيه كله.

خاصة أنه ليس نظامًا مُنزّلًا، وإنما هو من صُنع البشر، وتراكم الفعل الإسلامي على مر العصور.

النظام السياسي بدأ منذ الثقيفة، بمعنى: أن الرسول ﷺ غادر دنيانا إلى الرفيق الأعلى دون أن يُحدِّدَ نظامًا سياسيًّا بشكلٍ معين؛ فلماذا ترك ﷺ هذه الأمور؟ مُتعمِّدًا؛ كي يترك لنا نحن البشر أن نصنع النظام السياسي الذي يتواءم مع الطبيعة ومع العُرف ومع التقاليد ومع..

ومع ظروف العصر الذي نعيشه.

ومع ظروف العصر، ظروف الزمان والمكان، هذا هو السبب الذي جعلني أطمح وأتطلع إلى شكلٍ من أشكال النُّظُم السياسية التي تتحقق فيه كل هذه المُلابَسات.

فحدث هذا التحول.

حدث هذا التحوّل.

الأحزاب ونشأتها في أحضان الصحف

عظيم، ومن مزاياه مثلما قلت: جعلك تدرس تاريخ الفكر السياسي في الإسلام، وعملية اختيار الحاكم، وعلاقة الحاكم بالمحكوم.. والصيغة السياسية المُلائمة للمجتمع في كل عصر.

قلت في إحدى دراساتك التاريخية عن نشأة الأحزاب المصرية: إن أكبر هذه الأحزاب ولدت في أحضان الصحف الوطنية التي كانت تصدر بالفعل قبل سنوات من نشأة الأحزاب في مطلع القرن. والآن يُقال: إن صحف الأحزاب أقوى من الأحزاب نفسها.. فما هي ملاحظاتك، وما هي شهادتك؟

بالطبع شهادتي الأولى «أن الأحزاب نشأت في أحضان الصحف»، تلك حقيقة؛ الحزب الوطني حزب مصطفى باشا كامل نشأ في أحضان اللواء، اللواء صدرت سنة ١٩٠٠، الحزب صدر سنة ١٩٠٨ قبل وفاة مصطفى كامل[٢٩] بأشهر قليلة.

نعم

كذا بالنسبة لحزب الأمة، الحزب الذي كان بداية الأحرار الدستوريين، وجريدة الجريدة التي كان يرأسها لطفي السيد

---

[٢٩] **مصطفى كامل** (١٨٧٤ - ١٩٠٨) زعيم سياسي وكاتب مصري. أسس الحزب الوطني وجريدة المؤيد. كان من المنادين بإنشاء (إعادة إنشاء) الجامعة المصرية. كان حزبه ينادي برابطة أوثق بالدولة العثمانية.

باشا[٣٠]، وكذلك بالنسبة لصحيفة المؤيّد وحزب الإصلاح التابع للشيخ علي يوسف[٣١]، فإذن هذه حقيقة تاريخية لابد أن نسعد بها؛ لا تزعجنا وليست مدعاة للغضب.

إذن، أنت تريد أن تقارن بين هذه المقولة التاريخية وبين الحاضر، أقول لك: إذا كانت هذه حقيقة واقعة أن تقول: إن الصحيفة أكثر قوة من الـ..

من الحزب

---

[٣٠] **أحمد لطفي السيد** (١٥ يناير ١٨٧٢ - ١٩٦٣) مفكر مصري، عمل وزيرا للمعارف ثم للداخلية، ورئيسا لمجمع اللغة العربية، ورئيسا لدار الكتب، ومديرا للجامعة المصرية، ويعتبر من قادة التنوير والتثقيف في مصر في القرن العشرين. لقب بـ«أستاذ الجيل».

[٣١] **علي يوسف**: ولد في بلصفورة، من نواحي مركز سوهاج بمصر. نشأ يتيما حيث توفي والده في السنة الأولى من عمره. انتقل إلى القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ ليتعلم في الأزهر، قام بنظم الشعر ونشر ديوانا صغيرا سماه نسمة السحر. قام بإنشاء مجلة أسبوعية سماها الآداب استمرت في الصدور ثلاثة سنوات، أصدر بعدها جريدة المؤيد اليومية عام ١٣٠٧ هـ واستمر صدورها إلى أواخر أيامه.

ولي مشيخة السجادة الوفائية. كان سريع الخاطر قوي الحجة، واسع الرواية، مقداما جريئا، وصفه بعض الكتاب بشيخ الصحافة الإسلامية في عصره. توفي بالقاهرة عام ١٣٣١ هـ/١٩١٣ م ورثاه كثير من الشعراء والكتاب.

من الحزب، إذن، فلابد أن نعرف ما السبب؟

نعم، ما السبب؟ السبب هو رئاسة جمال بدوي لتحريرها.

لا، لا.. العفو، لا، لا بد أن أقول الحقيقة.. لا أعتقد أنك تقصد حزب الوفد فقط.

لا، الأحزاب بصفة عامة

لأن حزب الوفد - في تصوّري- أنه أقوى من جريدته؛ لأنه هو الأصل، هذه الجريدة هي لسان حال الحزب، هي الناطقة باسمه. ولو لم يكن الحزب قويًّا لم تكن الصحيفة قوية. لأن الحزب.. الحزب أصل والجريدة فرع، وطالما أن الفرع قويّ فلا بد أن يكون الأصل قويًّا. قضية منطقية.

كانت هناك ظاهرة أردت أن تقرّها، فما هي؟

نعم هناك ظاهرة موجودة في مصر الآن، لماذا إذن؟ لأن الطريقة التي ظهرت بها الأحزاب هي التي دفعت إلى هذا.

أنت تعرف أننا كنا محرومين من الأحزاب، أنا أتكلم بعد صدور الأحزاب في عصر الرئيس السادات، ولا أتكلم عن الأحزاب فيما قبل الثورة، فهذا موضوعٌ آخر.

بالطبع.

لكننى أتكلّم عن الأحزاب القائمة الآن.

الآن

نعم، الأحزاب.. أنت تعرف أنه كاد يقتلنا العطش وحدثت «هوجة»، للأسف أنه صادف أو توافق مع ظهور الأحزاب حدوث حادث «المنصة»[٣٢]، وما تلاه من إعلان قانون الطوارئ.

إذن، هناك ظروف استجدت على البلد؛ ظروف أمنية أوجدت هذا القانون، في ظل هذا القانون يكون من الصعب على

---

[٣٢] اغتيال الرئيس المصري محمد أنور السادات أو «حادث المنصة» كان خلال عرض عسكري أقيم في ٦ أكتوبر ١٩٨١ احتفالًا بالانتصار الذي تحقق خلال حرب أكتوبر. نفذ عملية الاغتيال خالد الإسلامبولي الذي حُكِم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص لاحقًا في أبريل ١٩٨٢.

صاحب العمل السياسي وصاحب الرسالة السياسية أن يمارس حقَّه كاملًا.. بمعنى: أنك تأتي وتقول الآن: أريد أن أعقد مؤتمرًا سياسيًا.. لا بد أن تأخذ إذنًا من جهاز الأمن، ولا بد أن يكون مُقيّدًا في مكان مصور، ولا بد ولا بد.. المواطن عندما يستشعر هذا فلماذا يجلب لنفسه كل هذه الأمور المعقدة؟! الأمر واضح.

إذن هناك ظروف صاحبت وواكبت ظروف الأحزاب، مع استمرار قانون الطوارئ، هذه ظروف تحدّ من حرية العمل السياسي.

أيضًا: العمل السياسي المرفوض في الجامعات، وهذا خطأ، ويجب أن نقف في وجهه.. لا أعرف أهذا قانون أم نص، أم ماذا بالضبط؟، إنما للأسف الشديد الجامعات طوال عمرها هي التي تفرّغ الشباب.. شباب الأحزاب. عندما تأتي الآن وترى الأحزاب الشرعية الموجودة حاليًا تجد أنها لا تستطيع أن تمارس نشاطها السياسي داخل الجامعات، بينما هذا الحق متاح لتيارات أخرى..

فماذا كانت النتيجة؟ ضعف التيار السياسي، والتيار الآخر أصبح قويًّا، إذن، فالمسألة أدت إلى ماذا؟ المفروض أن..

إذن، التيار الآخر ليس تيارًا حزبيًّا، لا ينطوي تحت حزب مُعيَّن. تُرى ماهية التيار الآخر

إذن التيار الحزبي الشرعي هو الذي يعمل في ظل الشرعية ويعمل فوق المسرح في وضوح، أليس أحق وأولى من أن يمارس حقوقه في المجالات الطبيعية بين الشباب سواء كان في المدارس أو الـ..؟

بالطبع هي مشكلة، وهي قضية مُثارة، وأعتقد أنك كتبت فيها الكثير أيضًا.

كتبت.

نعم

إذن، المفروض عمله كي نقوّي من النظام الحزبي أو من التعدُّدية الحزبية، لا بد أن نعيد النظرة، ونتيح للأحزاب الشرعية

أن تمارس كامل حريتها داخل التجمعات الجماهيرية، سواء كان في النقابات أو في الأحزاب أو في الجامعات أو المصانع.

تعتقد أنه لو كان قد تحقَّق هذا، أكان من الممكن أن تتصدى هذه الأحزاب لنزعات أو ظواهر الإرهاب؟

أجبت أنت الآن على ما كنت أودّ قوله. طبعًا.. من دون شكّ.. لأن التربية السياسية تجعل الإنسان لديه القدرة على التمييز، وعلى الفهم وعلى التصدي. عندما يُحرَمُ من هذه التربية السياسية، يُلقي الطالب أو الشاب في هذه الحالة بنفسِه لأحضان أيَّة جماعة تسلب لُبّه أو تخدعه أو إلى آخره.

فإذن اختفاء العمل السياسي في الجامعات أدّى إلى نمو التيارات المتطرفة على الجانب الآخر، هذا سبب ونتيجة في الوقت نفسه.

إذا أردنا أن نعالج هذه القضية لا بد أن نعالج مُسبّباتها، وأن نجعل الفرصة متاحة للأحزاب السياسية أن تمارس نشاطها.

لماذا تخاف من الأحزاب السياسية؟.. لماذا؟.. لماذا نمنع؟..
ولماذا نضع قيودا وقواعد، ونقول كذا وكذا؟

ولكن ألا ترى معي أن من بين الأحزاب القائمة الآن، وهي لها الشرعية ولها الحق، لا تناقش هذا، لكن تحتضن أو بعضها يحتضن هذا التيار نفسه وهذه المبادئ المتشددة والمتطرفة والعنيفة.

ليكن، لكن الحَكَمَ في هذا الشعب نفسه، طالما أن الشعب مسلّح بسلاحِ الوعي وبسلاح التنوير هو الذي يفصل في هذا الموضوع، هو القادر على أن يميز بين الغث والسمين، بين الصحيح والخطأ، بين النافع والضار. فإذا كان هناك حزب يتبنى هذا الـ

الفكر

الفكر .. فالذي يفصل في هذا الموضوع هو الرأي العام نفسه، وينفضّ من حول هذا التيار الضار، ويلجأ إلى التيار الصحيح. طالما أننا نلجأ لهذا، لأن أصل الأحزاب لا تعمل إلا في أحضان الرأي العام، تتنفس وتكبر وتنمو في أحضان الرأي العام.

وحينما تُلفظ.. تُلفظ من خلال الرأي العام أيضًا.

وعندما تُلفظ أو يُحكم عليها بالعدم.. هناك أحزاب كثيرة محكومٌ عليها بالعدم من قبل أن تنشأ، وأنت تعرف هذا.. أحزاب صدرت ولم يكن لها لها أي وجود، وهناك أحزاب كانت في الماضي بهذا الشكل.. إنما من الذي يحدد موت هذا الحزب وحيوية غيره؟

أقول لك: لماذا رجع حزب الوفد بعد هذه الغيبة الطويلة.. ثلاثين سنة؟ رجع لأن هناك ضرورة لرجوعه، لأن الناس يريدونه، بمعني: وجود أناس يقومون بفكره؛ لأن البناء الديمقراطي يتطلب أن يكون هناك حزب يرعى هذه المبادئ الديمقراطية، وهو حزب الوفد.

الذي يحدد هذا هو الرأي العام القوي.. نحن بحاجة إلى رأي عام قوي، من أي شيء يتكون الرأي العام القوي من أحزاب وصُحُف تقوم على تشكيله، وهكذا..

إذن لا بد وأن تكون هناك تفاعلات داخل المجتمع؛ لكي تكون في النهاية المعالجة السياسية لكل مشكلة تواجهنا.

نعتبر هذا تحليلًا رائعًا لغياب الحزب، أو بمعنى: الشارع المصري مثلما يُقال.

بالتأكيد، ونحن لا ننكر أن هناك غيابا، لكننا نعرف مسبباته عندما نعالج هذه الأسباب، سوف تكون الإجابة..

لغة الحياة اليومية

الصحفي الكبير الأستاذ جمال بدوي: ذكرت في أحد دراساتك المنشورة «أن اللغة قد تكون دليلًا على تفشّي الاستبداد بما تحويه من ألفاظ التفخيم والتعظيم وعبارات المذلّة والخضوع كاللغة الفارسية» هذا عن الفارسية.. فماذا عن لغتنا المعاصرة، لغة الحياة اليومية الآن.. فما شهادتك؟

يؤسفني أن أقول لك: إنني أشعر بالحزن عندما أسمع لغة الحياة اليوميّة، لأنني لا أقدر على سماع مثل كلمة «طناش» و«ماشي» وا.. حتى إنهم قد استعملوا منها مشتقات، يقولون: «دارج زنبجي» وأفعال واسم فاعل واسم مفعول، لدرجة أصبحت تدعو إلى التقذُّذ.

إنني أُحمِّل مسؤولية هذا الانتشار على كُتّاب الحوار في الأعمال الفنية، سواء كان في المسرح أو في السينما أو في التليفزيون أو في الإذاعة؛ لأن هؤلاء وضعوا هذه الكلمات وأشاعوها على ألسنة الممثلين.

فاللغة أصبحت لغةً غير مقبولة، قارن بين هذه اللغة عندما تسمع في الإذاعة مثلًا البرامجَ القديمة أو حديث كُتّابنا القدامى ومقالاتهم ولغتهم حتى في الأفلام.. استمع إلى طريقة حوار يوسف وهبي[٣٣] أو محمد عبد الوهاب[٣٤]، تجد أن الأسلوب في الحوار راقي، لا توجد كلمة مُنفّرة.

---

[٣٣] **يوسف وهبي** ممثل ومخرج مسرحي وسينمائي من مصر، يعتبر أحد الرواد في مجال السينما والمسرح العربي. ولد في مدينة سوهاج، كان والده «عبد الله باشا وهبى» يعمل مفتشاً للري بالفيوم، نشأ يوسف وهبى في بيت من بيوت علية القوم. تلقى تعليمه بالمدرسة السعيدية، ثم بالمدرسة الزراعية بمشتهر. شغف بالتمثيل لأول مرة في حياته عندما شاهد فرقة الفنان اللبناني «سليم القرداحى» في سوهاج، بدأ هوايته بإلقاء المونولوجات وآداء التمثيليات بالنادي الأهلي والمدرسة. عمل مصارعاً في «سيرك الحاج سليمان» حيث تدرب على يد بطل الشرق في المصارعة آنذاك المصارع «عبد الحليم المصري».

سافر إلى إيطاليا بعد الحرب العالمية الأولى بإغراء من صديقه القديم «محمد كريم»، وتتلمذ على يد الممثل الإيطالي «كيانتوني»، وعاد إلى مصر سنة ١٩٢١ بعد وفاة والده، حيث حصل على ميراثه «عشرة الآف جنيه ذهبي»، مثل إخوانه الأربعة.

عمل بجد للنهوض بفن التمثيل في سبيل الارتفاع بمستوى المجتمع، فكون فرقة رمسيس من الممثلين حسين رياض، أحمد علام، فتوح نشاطي، مختار عثمان، عزيز عيد، زينب صدقي، أمينة رزق، فاطمة رشدي، علوية جميل، وقدموا للفن المسرحي أكثر من ثلاثمائة رواية مؤلفة ومعربة ومقتبسة مما جعل مسرحه معهداً ممتازاً للفن صعد بمواهبه إلى القمة، وصار ألمع أساتذة المسرح العربي.

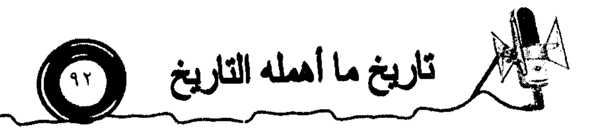
حصل على لقب «البكوية» عقب حضور الملك فاروق أول عرض لفيلم «غرام وانتقام» في سينما ريفولي بالقاهرة.

من أهم مسرحياته: الموت المدني، راسبوتين، ابن الفلاح، بنت مدارس، أولاد الشوارع، ناكر ونكير، بيومي أفندي.

من أهم أفلامه: بنت ذوات، جوهرة، سيف الجلاد، ابن الحداد، غرام وانتقام، سفير جهنم، ملاك الرحمة.

[٣٤] **محمد عبد الوهاب** (١٣ مارس ١٩٠٢ – ٣ مايو ١٩٩١)، أحد أعلام الموسيقى العربية، لقّب بموسيقار الأجيال، وارتبط اسمه بالأناشيد الوطنية. ولد في حارة برجوان بحي باب الشعرية بالقاهرة، عمل كملحّن ومؤلف موسيقي وكممثل سينمائي. بدأ حياته الفنية مطرباً بفرقة فوزي الجزايرلي عام ١٩١٧م. في عام ١٩٢٠م قام بدراسة العود في معهد الموسيقى العربية. بدأ العمل في الإذاعة عام ١٩٣٤م وفي السينما عام ١٩٣٣. ارتبط بأمير الشعراء أحمد شوقي ولحن أغان عديدة لأمير الشعراء، غنى معظمها بصوته ولحن كليوباترا والجندول من شعر علي محمود طه وغيرها. لحن للعديد من المغنيين في مصر والبلاد العربية منهم أم كلثوم، ليلى مراد، وعبد الحليم حافظ، وفيروز، وطلال مداح، وأسمهان، ووردة الجزائرية، وفايزة أحمد.

توفي عبد الوهاب في ٣ مايو ١٩٩١ وشُيعت جنازته في ٥ مايو في جنازة عسكرية.=



لكن ألا يجد الكاتب الحوار نفسه مضطرًا إلى أنه يتّسم بالواقعية وينقل الواقع؟

هذا هو الذي يصنع الواقع.

هو الذي يبتدعه

نعم.. كُتّاب الصُّحُف هم الذين يشكلون التكوين العقلي للمواطن، نحن الذين نضع منه أو نرتفع به، إذن، مسؤوليتنا أن نرتَفِع بهذا المواطن ولغته، سواء كان عن طريق الصحافة أو سواء كان عن طريق وسائل الإعلام الأخرى، نحن أصحاب المسؤولية ليس هو، بل هو المظلوم.

=قام عبد الوهاب بتمثيل سبعة أفلام امتدت خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات وهي كالتالي:

الوردة البيضاء ١٩٣٣.

دموع الحب ١٩٣٥.

يحيا الحب ١٩٣٧.

يوم سعيد ١٩٣٩.

ممنوع الحب ١٩٤٢.

رصاصة في القلب ١٩٤٤.

لست ملاكا ١٩٤٦.



إذن فاللغة قد تكون دليلًا على تفشّي الاستبداد بما تحويه من ألفاظ التفخيم والتعظيم وعبارات المذلّة والخضوع.

نعم.. الحقيقة أن صاحب الفضل الذي نبّهني لهذا هو المؤرخ الكبير: عبد الرحمن الكواكبي[٣٥]، وهو ألمح إلى هذا في كتاباته عن طبائع الاستبداد.

---

[٣٥] **عبد الرحمن الكواكبي** (١٨٥٤ - ١٩٠٢ م) مفكر وعلامة عربي سوري رائد من رواد التعليم ومن رواد الحركة الإصلاحية العربية وكاتب ومؤلف ومحامي وفقيه شهير. ولد في مدينة حلب لعائلة لها شأن كبير. والده هو أحمد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي، والدته السيدة عفيفة بنت مسعود ال نقيب وهي ابنة مفتي أنطاكية في سوريا. ويقال إنه من أصل فارسي.

بدأ الكواكبي حياته بالكتابة إلى الصحافة وعين محرراً في جريدة الفرات التي كانت تصدر في حلب،وعرف ألكواكبي بمقالاته التي تفضح فساد الولاة، تقلد عبد الرحمن الكواكبي عدة مناصب في ولاية حلب فبعد أن عين عضواً فخرياً في لجنتي المعارف والمالية، عين مديراً رسمياً لمطبعة الولاية، رئيسا فخريا للجنة الاشغال العامة في حلب وحقق في عهده الكثير من المشاريع الهامه التي افاد بها حلب والمناطق التابعة لها وفي ١٨٩٢ عين رئيسا لبلدية حلب. استمر الكواكبي بالكتابة ضد السلطة التي كانت في نظره تمثل الاستبداد، وعندما لم يستطع تحمل ما وصل اليه الامر من مضايقات من السلطة العثمانية في حلب التي كانت موجوده آنذاك، سافر الكواكبي إلى آسيا الهند والصين وسواحل شرق آسيا وسواحل أفريقيا وإلى مصر حيث لم تكن تحت السيطرة المباشرة للسلطان عبد الحميد، وذاع صيتة في مصر وتتلمذ على يدية الكثيرون وكان واحدا من أشهر العلماء.

ألف العديد من الكتب وترك لنا تراثا ادبيا كبيرا من كتب عبد الرحمن الكواكبي طبائع الاستبداد وام القرى كما ألف العظمة لله وصحائف قريش وقد فقد مخطوطين مع جملة اوراقه ومذكراته ليلة وفاته، له الكثير من المخطوطات والكتب والمذكرات التي طبعت وما زالت سيرة وكتب ومؤلفات عبد الرحمن الكواكبي مرجعا هاما لكل باحث

الشيء الثاني الذي نبهني هو أنني عندما عشت في البلاد العربية، وجدت البساطة في لغة التعامل، فلا تجد ألفاظا مثل «سعادتك، وفخامتك»..

«وباشا»

نعم، وكذلك «يا فندم وحضرتك»، هم يتعاملون مع بعضهم البعض بمنتهى البساطة.. يا فلان، هكذا دائمًا.. هذه تقاليد عربية.

هل من الممكن أن أسأل سؤالًا صريحًا من دون أن تغضب منه؟

نعم.. أنا أعرف سؤالك هذا، ستقول لي: لماذا إذن تقول لفؤاد باشا: يا باشا؟

بالضبط هكذا.. ليس من الممكن أن تقول له إلا يا باشا.

أكيد، لابد وأن أقول له: يا باشا؛ لأنه أصلًا باشا.. فأنا لست مُدَّعيًا.

الألقاب ملغية.

نعم، الغها إذن من وسط عساكر الشرطة والمرور، هم يقولونها لبعضهم البعض، لأمين الشرطة يا باشا.

من الأمين للضابط.

أكون خجولًا عندما أكون راكبًا الـ«تاكسي».. كلمة يا «باشا»أصبحت لغة التعامل اليومية مع الناس، حتى إنهم لا يقولون يا «بيه»، يبدو أن كلمة «بيك» لا تصلح. عندي هنا كتاب عن الألقاب في التاريخ الإسلامي للدكتور حسن الباشا، كتاب ضخم.

هو نفسه صاحب لقب «حسن الباشا».

«حسن الباشا»، لا «أبو باشا».

نعم.

أستاذ التاريخ.. فالألقاب تعبّر عن تفكير الشعب..

هي مجرد مؤشرات اجتماعية.

مؤشرات بالضبط، وأخذناها من الفرس..

من الفرس أم من الترك؟

جمال بدوي: لا من الفرس أولًا؛ لأن الفرس أسبق في الحضارة من الترك. فالفرس هم الذين وضعوا هذه الألقاب الفخمة الكبيرة.

إذن فلقب «بيه» و «باشا» ألقاب ليست تركية.

كلمة «بيه» تركية.. «باشا» «بادي شاه»

فارسية..

نعم، مُشتقة من الاثنين؛ جزء فارسي وجزء تركي.. الشاه هي: الحاكم، ثم اختصرت من بادي شاه إلى باشاه، ثم باشا.

نحن توارثنا هذه الألقاب من عصور اختلاطنا في ظروف الحضارة الإسلامية.. اختلاط العرب بالفرس.. فأخذوا منهم هذه الألقاب، وتسمع «حضرة صاحب الكذا، والأفخم والمبجل، وعزتلو ودولتلو» إلى أخر هذه الألقاب.. تسربت إلينا عن طريق الأتراك

نعم..

هنا في مصر، بعد الاحتلال العثماني.

زاد عليها تلك الظاهرة التي ترصدها الآن وهي تدنّي لغة الحوار في الحياة اليومية، ودخول ألفاظ إلى لغة التعامل اليومي.. تعتبرها ألفاظًا سوقية ومرفوضة.

جدًّا جدًّا.. أنا لا أعرف كيف نستطيع أن نلغها؟

فأنا لا أطيق أن يكلمني محرر فيقول لي «ماشي»، وعمومًا فأنا أكون حاسمًا في هذه المسألة، ماذا تكون أو تعني كلمة «ماشي»، و«طناش» و«الدوكو»، كلام لا يَصِحّ، يجب أن ترتفع لغتنا اليومية وتتطهر من هذا، أرجو ذلك.

يقول المؤرخ الكبير الدكتور: عبد العظيم رمضان[٣٦]: «**إن المؤرخ الأكاديمي لا يعنيه توظيف الحدث التاريخي بقدر ما يعنيه**

---

[٣٦] **عبد العظيم رمضان** (١٩٢٨-٢٠٠٧) من أهم المؤرخين الذين جاءوا في تاريخ مصر وكتابه عن تطور الحركة الوطنية المصرية بين ١٩٩٤ - ١٩١٩ بالغ الأهمية.

ولد المؤرخ عبد العظيم رمضان في أبريل ١٩٢٨ عمل مدرساً للتاريخ بجامعة المنوفية، وشغل منصب عضو في المجلس الأعلي للثقافة، ورئيس لجنة التاريخ وعضو مجلس إدارة=

تحقيق الواقعة التاريخية، وإلقاء الضوء على الأحداث التاريخية المجهولة.. أمّا المُفكّر فهو يوظّف هذه الجوانب في تكوين الوعي القومي والوطني.

فما هو تعليقكم، وما هي الحلقات الموجودة في التاريخ المصري، التي تحب إبرازها في رؤيتك بشكلٍ خاص.

(●) بالطبع الدكتور عبد العظيم، صادق في هذا؛ لأن هناك فرقا بين المؤرّخ الذي يأخذ أي يسجّل مثل الرافعي[٣٧] مثلًا، فهو يُسجِّل

=هيئة الكتاب المصرية وإشرافه علي سلسلة تاريخ المصريين، إضافة إلي عضويته في كثير من اللجان، وكذلك مساحاته الثابتة في مجلة «أكتوبر» الأسبوعية أو جريدة الأهرام ثم الجمهورية فيما بعد.

[٣٧] **مصطفى صادق الرافعي** (١٢٩٨ هـ- ١٣٥٦ هـ الموافق ١ يناير ١٨٨٠ - ١٤ مايو ١٩٣٧م) ولد في قرية «بهتيم» بمحافظة القليوبية في أول وعاش حياته في طنطا وبذلك يكون الرافعي قد عاش سبعة وخمسين عاما، كانت كلها ألوانا متعددة من الكفاح المتواصل في الحياة والأدب والوطنية.

وأصله من مدينة طرابلس في لبنان وما زالت أسرة الرافعي موجودة فيها حتى الآن، أما الفرع الذي جاء إلى مصر من أسرة الرافعي فإن الذي أسسه هو الشيخ محمد الطاهر الرافعي، الذي وفد إلى مصر سنة ١٨٢٧، ليتولى قضاء المذهب الحنفي، أي مذهب أبي حنيفة النعمان بأمر من السلطان العثماني حيث كانت مصر حتى ذلك الحين ولاية عثمانية.=

=يقال: إن نسب أسرة الرافعي يمتد إلى عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وقد جاء بعد الشيخ محمد طاهر الرافعي عدد كبير من أخوته وأبناء عمه، وبلغ عدد أفراد أسرة الرافعي في مصر حين وفاة مصطفى صادق الرافعي سنة ١٩٣٧ ما يزيد على ستمائة فرد.

مؤلفاته:

تاريخ آداب العرب (ثلاثة أجزاء)، صدرت طبعته الأولى في جزأين عام ١٣٢٩ هـ، ١٩١١م. وصدر الجزء الثالث بعد وفاته بتحقيق محمد سعيد العريان وذلك عام ١٣٥٩ هـ الموافق لعام ١٩٤٠م.

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (وهو الجزء الثاني من كتابه تاريخ آداب العرب)، وقد صدرت طبعته الأولى باسم إعجاز القرآن والبلاغة النبوية عام ١٩٢٨م.

كتاب المساكين، صدرت طبعته الأولى عام ١٩١٧م.

السحاب الأحمر.

حديث القمر.

رسائل الرافعي، وهي مجموعة رسائل خاصة كان يبعث بها إلى محمود أبي رية، وقد اشتملت على كثير من آرائه في الأدب والسياسة ورجالهما.

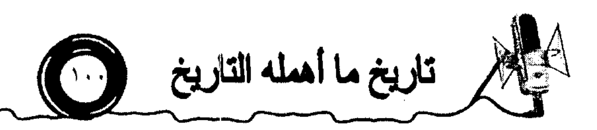
تحت راية القرآن، مقالات الأدب العربي في الجامعة، والرد على كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين.

على السفود، وهو رد على عباس محمود العقاد.

وحي القلم، (ثلاثة أجزاء) وهو مجموعة فصول ومقالات وقصص كتب المؤلف أكثرها لمجلة الرسالة القاهرية بين عامي ١٩٣٤- ١٩٣٧م.

أوراق الورد.

رسائل الأحزان. =



الأحـداث، ليـست المـشكلة هنـا، لكـن المـشكلة في التفـسير وفي الاستنباط وفي التحليل، تلك هي الخطورة.

والربط.. الربط مثلما ربطت بين فكر المتطرفين أو الإرهابيين الآن وبين فكر الخوارج في صدر الإسلام.

نعم، من حق قارئ التاريخ أو أي إنسان مشترك في التاريخ أن يُؤصِّل، هذا هو عملي.

بمعني أنني أنظر إلى المستقبل عـن طريـق النظـرة إلى الـوراء، وأستطيع أن أُحلِّل الأحداث الجارية عن طريق الرؤيـة. لأننـي كـما قلت لك في بداية الحديث: أنـا أعتـبر التـاريخ مـصدر إزعـاج لـيس فقط مجرد تسلية، لأنني يجب أن أنبه بني وطني وأخـواني ومـواطنيّ إلى أن هناك وقائع محددة.

هــذه مهمّـة التـاريخ؛ أن يـوقظ الغـافلين وينـبِّههم، ويقـرع الأجراس، إنما ليست حكاية أبو زيد الهلالي سـلامة، ونظـل نـروي

-ديوان الرافعي (ثلاثة أجزاء) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٠م.

ديوان النظرات (شعر) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٠٨م.

قصصًا للناس للتسلية ليس إلا.. أنا آخذ التاريخ من هذا المدخل، كأداة لإيقاظ الناس وإيقاظ الوعي عندهم؛ كي يفهموا واقعهم.

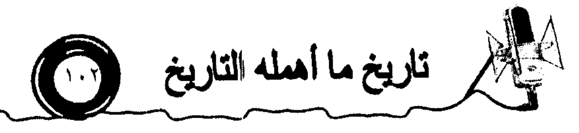
سألتني سؤالًا لم أجب عليه إلا عندما أتنبه له؛ تقول لي: ما هي الحلقات الموجودة في التاريخ المصري، التي تحب أن...

تبرزها بشكل آخر

أبرزها، حاجات هي ليست أحداثًا، لكن من القضايا التي كانت تهمّني جدًّا وأنا أرصد تاريخ مصر الطويل كله، منذ سقوط الدولة الفرعونية إلى مشارف العصر الحديث في القرن العشرين، أنه لم يحكم مصر حاكمٌ مصري، هذه قضية شغلتني جدًّا جدًّا.

غرباء لكن أمراء

نعم، وأنا أذكر أنك قلت فيها أو تساءلت تحت عنوان «غرباء لكن أمراء» عن الكيفية التي استطاع بها أفراد مغامرون أن يحكموا بلدًا عريقًا قديمًا كمصر دون أن يكون لأهْلِها رأي في هذا الحكم.



(●) نعم، فهذه قضية عندما ترى مثلًا النماذج التي أمامك من أمثال شجرة الدر[٣٨]، وكافور الإخشيدي[٣٩]، وأحمد بن طولون[٤٠]، وصلاح الدين[٤١] ومحمد علي[٤٢] آخرهم.

نعم.

---

[٣٨] **هي شجر الدرّ** (أو شجرة الدّر) ، الملقبة بعصمة الدين أم خليل، تركية الأصل، وقيل: إنها أرمينية. كانت جارية اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بمكانة عالية حتى أعتقها وتزوجها، وأنجبت منه ابنها خليل الذي توفي في ٢ من صفر ٦٤٨هـ (مايو ١٢٥٠م. تولت عرش مصر لمدة ثمانين يوماً بمبايعة من المماليك وأعيان الدولة بعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب، ثم تنازلت عن العرش لزوجها المعز أيبك التركماني سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م).

[٣٩] **أبو المسك كافور الإخشيدي**: وكان يدعى أيضا **الليثي، السوري** (٩٠٥–٩٦٨) والملقب بأبي المسك أحد حكام الدولة الإخشيدية في مصر وسوريا كان الحاكم الفعلي لمصر منذ ٩٤٦ بعد وفاة محمد بن طغج وأصبح كافور سنة ٩٦٦ م واليا على مصر حيث حكمها ثم توسع إلى بلاد الشام دام حكمه لمدة ٢٣ عاما، وهو صاحب الفضل في بقاء الدولة الإخشيدية في مصر. يذكر أنه كان عبدا أسود اللون من الحبشة.

[٤٠] **أحمد بن طولون**: أمير مصر ومؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام ولد سنة **٨٣٥** ميلادية. كان والده من أتراك القبجاق.

[٤١] **الملك الناصر أبو المظفّر يوسف بن أيوب**: (ولد ١١٣٨ - ١١٩٣م)، مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام، امتد سلطانه إلى شمال العراق وإلى بلاد اليمن.

[٤٢] **محمد علي باشا**: (٤ مارس ١٧٦٩ - ٢ أغسطس ١٨٤٩)، باني مصر الحديثة وحاكمها ما بين ١٨٠٥ - ١٨٤٨. بداية حكمه كانت مرحلة حرجة في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر حيث نقلها من عصور التردي إلى أن أصبحت دولة قوية يعتد بها.

(●) لا بد أن نبحث عن السبب وراء هذه الكارثة. أنا أعتبرها كارثة. هناك بعض المؤرخين مثل الدكتور: عبد العظيم رمضان يقول: «إن هؤلاء الحُكّام لا تقدر على أن تصفهم بالغرباء؛ لأنهم طالما عاشوا في مصر، وشربوا من مياهها، وأكلوا من زرعها، وماتوا فيها، أصبحوا مصريين، مثل البطالمة[٤٣] ٣٠٠ سنة وهم يعيشون في مصر» لتكن.. هذه وجهة نظر.

لكن وجهة نظري أن السبب أننا منذ سقوط الدولة الفرعونية القديمة لم يحدث أن ظهر حاكم مصري.. توصلت إلى أن السبب في هذا كله هي كارثة واحدة، وهي: «التجنيد».. الجيش.

نعم، فلم يدخل مصري في التجنيد بعد.

---

[٤٣] **البطالمة:** هم مزيج من سلالة المقدونية والمصرية التي حكمت مصر من وفاة الإسكندر سنة ٣٢٣ ق. م إلى غاية ٢٧ ق. م عند تحولت مصر إلى مقاطعة رومانية، أول ملوكها بطليموس الأول أحد قادة جيش الإسكندر الأكبر وآخرهم الملكة كليوباترا وابنها بطليموس الخامس عشر (قيصرون).

بالضبط، إن هؤلاء الحُكّام كانوا يعتمدون في حكم مصر على الجيوش الأجنبية، وحرموا المصريين من التجنيد، جعلوا المصريين يتفرغون فقط للزراعة والصناعة والتجارة وحفر الترع والقنوات والحضارة.. هذا جميل.

- لكن من الذي يحمل عبء الدفاع عن الوطن؟! الأجانب.

لذلك أول ما أتيح، أو سمح النظام بتجهيز المصريين بدأ يظهر الحكام المصريون.

هذا هو سبب المصيبة التي عشناها على مدى ٢٥٠٠ سنة، حرمان المصريين من التجنيد وإبعادهم عن الجيش، كل هذا زرع في نفوسنا عدم الثقة بالنفس، وجعلنا ضعافًا داخليًّا، وأشعرنا بالألم ونحن نرى الأجانب يدافعون عنا.

الحقيقة، إذا كان الفضل يُنسب لصاحبه، فنذكر في هذا محمد علي؛ لأنه هو أول من أنشأ الجيش المصري على الأسس الحديثة، وبعث يجلب الخبرات.

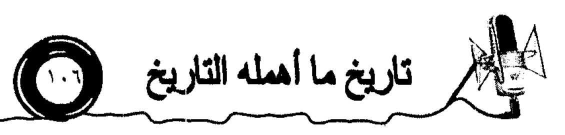
البلد كلها جُنِّدتْ من أجل تكوين هذا الجيش العظيم، الذي رفع رأس مصرَ عاليًا في كل منطقة الشرق الأوسط حتى وصلنا إلى مشارف الدولة العثمانية.

إذن، الجيش مهمٌ جدًّا، التجنيدُ مهمٌ جدًّا. والدِّفاع عن الوطن كان المشكلة التي نحن بصددها، إذن هذا سبب في أن الأجناد الأجنبية هم الذين كانوا يتحكمون، وكانوا يحكمون، وكان الحُكَّام يتوارثون هذه النصيحة، يقول له: احترس من المصريين، إياك من أن تُجنِّد الفلاحين؛ لأنه لو جندته سيضيق عليك، وهذا ما حدث، فجندنا..

عرابي بسرعة..

بالضبط، أول شيء تحول له عرابي: تخليص البلاد من هذه الوجوه الأجنبية من «الشركس» و«الأرناؤوط» وكل هذه الحثالات التي أساءت إلى مصر والتي استنزفت عَرَقَها ودَمَها.

إلى الآن لم نصل للنقطة المهمة جدًّا وهي قولك لي: أن هناك أشياء في تاريخ مصر غامضة.



اللغز الذي يجري وراءه د/ جمال بدوي:

نعم

من الأشياء الغامضة فكرة أن المصريين كانت تتاح لهم الفرصة أحيانًا لأن يحكموا أنفسهم، فمتى كان ذلك؟ أنت تعرف أن الدولة حسب نظرية ابن خلدون[٤٤] تمر بنظام الدورة، إنها تصل إلى القمة ثم تبدأ في الانهيار إلى أن تصل إلى القاع من أسفل وتموت، في لحظات الاحتضار كانت الفرصة متاحة أمام المصريين لكي يحكموا مصر، لماذا لم يحدث ذلك؟ هذا هو اللغز الذي أجري وراءه الأن، توجد فجوات بين الدول، بين الدولة الفاطمية وبين الدولة الأيوبية، بين الدولة الأيوبية ودولة المماليك، بين دولة المماليك والدولة العثمانية.

يمكن أن تكون أقربها تولية محمد علي

---

[٤٤] **ابن خلدون:** ولد ابن خلدون في تونس عام ١٣٣٢م (٧٣٢هـ)، توفي في مصر عام ١٤٠٦ وتم دفنه بمقابر الصوفية عند باب النصر بشمال القاهرة، وذلك بعد أن ترك لنا علمه وكتبه القيمة التي ما زالت مرجعا للعديد من العلماء الآن. هومؤسس علم الاجتماع ومؤرخ مسلم من إفريقية في عهد الحفصيين وهي تونس حالياً ترك تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى اليوم.

- بالضبط.

خرج الفرنسيون الآن من مصر.. الوضع العثماني وصل إلى الحضيض من حيث الضعف.. كانت كل الظروف مُهيّأة وكان الحاكم موجودًا، عالم وصعيدي وأزهري هو "عمر مكرم"[٤٥].

يقوم عمر مكرم بأخذ الحكم على طبق من فضة ويصعد القلعة فيسلم الحُكْم لـ"محمد علي" لمجرد أنه عثماني، لماذا؟ لأن الحكم كان مُحَرَّمًا على المصريين.

وعندم تنظر إلى رأي الرافعي أو غيره أو حتى الكُتَّاب الغربيين تجدهم يقولون: إن المصريين قد وصل الأمر بهم إلى عدم الثقة بالنفس، إنهم فقدوا المقدرة على أن يحكموا أنفسهم، حتى عمر مكرم الذي أُتيحتْ له الفرصة لهذا يقول لك لا أقدر؛ لأنه

---

[٤٥] **عمر مكرم بن حسين السيوطي**: (١٧٥٠ - ١٨٢٢) زعيم شعبي مصري. ولد في أسيوط إحدى محافظات مصر سنة ١٧٥٠ وتعلم في الأزهر الشريف. ولي نقابة الأشراف في مصر سنة ١٧٩٣، وقاوم الفرنسيين في ثورة القاهرة الثانية سنة ١٨٠٠. كان له دور في تولية محمد علي شؤون البلاد، حيث قام هو وكبار رجال الدين المسلمين بخلع خورشيد باشا في مايو سنة ١٨٠٥. وحينما استقرت الأمور لمحمد علي خاف من نفوذ رجال الدين فنفى عمر مكرم إلى دمياط في ٩ آب ١٨٠٩ وأقام بها أربعة أعوام ثم نقل إلى طنطا. توفي عام ١٨٢٢.

يخاف من المصريين. عندما عرض نابليون قبل ذلك على كثير من المصريين أن يشكلوا حكومة إدارة محلية رفضوا، وقالوا له: إن المصريين لا يحترمون إلا جنس الترك، فما جنس الترك هذا؟.. يعني: الكرباك، تصور إلى أين وصلت بنا المهانة .. فإذن هذه ألغاز عندما تتاح لنا الفرصة نقوم فنسلّمها للأجنبي، هذه كارثة، هذه من الأشياء التي شغلت بها كثيرًا كقارئ للتاريخ. أبحث دائمًا عن السر في أنه لماذا لم تُتَحِ الفرصةُ أمام المصريين لكي يُنَصِّبوا ويقيموا مصريًّا يحكم.

هنا إذن نذكر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بكل الخير.

يعني موضوع الرئيس جمال عبد الناصر إذا كنت تريد أن تذكره بالخير بالتأكيد لن أرفض، إذا كنت تذكره كحاكم رأس الدولة، لكن كنظام الحكم..

غيّر مجرى تاريخ؛ هو أول حاكم مصري

لا، عندي نقطتان للتوضيح

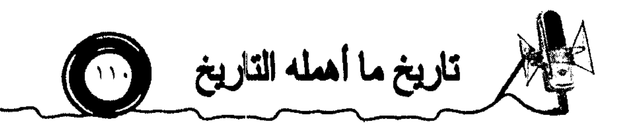
نعم

(●) إذا أخذت بعيار الدكتور: عبد العظيم رمضان الذي يعني: أن أي حاكم مصري عاش في مصر ولد فيها، فهذه تنطبق على أسرة محمد على، لأنهم عاشوا في مصر وأصبحوا مصريين.

وبمقتضى هذا المعيار (وهو ليس معياري أنا) تصبح أسرة محمد علي مصرية، فالفترة التي قضتها في مصر -١٥٠ سنة- أعطتهم حق المصرية، فأصبحوا مصريين لحمًا ودمًا، حتى وإن كانوا في تصرفاتهم غير ذلك.. فذاك موضوع آخر، هذا هو التّحفّظ الأوّل.

التحفظ الثاني: أنه كان يوجد حكام مصريون قبل عبد الناصر، فلا أستطيع أن أنسى وزارة سعد زغلول، صحيح، كان السلطان فؤاد موجودًا أو الملك فؤاد، لكن لأول مرة في تاريخ مصر تحكم وزارة اسمها وزارة الشعب، بانتخاب شعب حر، وبإرادة مصرية صميمة، وهذا مصري، فإذا كنت تريد أن تُسجّل للتاريخ، فلا بد أن نكون أمناء في هذا.

نعم.. عبد الناصر كحاكم...



نعم.. أنا أقصد ذلك

يجلس على رأس الدولة، نعم.. كمصري، لكن من قبله كانت الحكومات التي جاءت إلى مصر، وعرفتها مصر منذ يناير سنة ٢٤ هي حكومات مصرية.

إذن بدأ تَفَتُّحُ الوعي مع بدايات القرن العشرين وثورة ١٩، ومن قبل أيضًا ثورة عرابي، فلا ننسى أيضًا أن الذي قادها مصري وفلاح.

ثورة عرابي والوزارات التي نشأت من ثورة عرابي، أيضًا نقول: إن شريف باشا[٤٦] مثلًا على الرغم من أنه ينحدر من أصول

---

(٤٦) محمد شريف باشا سياسي شركسي مصري بارز ومن أعلام الشراكسة، تولى رئاسة الوزراء في مصر أربعة مرات.

ولد محمد شريف باشا عام ١٨٢٣م وكان أبوه قاضيا للقضاة بمصر وهو شركسي الأصل، تعلم بمدرسة الخانكة وهي المدرسة الحربية التي أنشئت سنة ١٨٢٦م بأمر محمد علي باشا، ثم أوفد في بعثة إلى فرنسا والتحق بمدرسة أركان الحرب. عاد عام ١٨٤٩م وتزوج ابنة سليمان باشا الفرنساوي.

تولي رئاسة النظار (مجلس الوزراء) ٤ مرات ووقع عن الحكومة المصرية معاهدة إبطال تجارة الرقيق. تبوأ منصب رئيس النظار ووزير الداخلية والخارجية في الوزارة التي قام بتشكيلها وعرفت بنظارة شريف الأولى (١٨ أبريل ١٨٩٧ - ٥ يوليو ١٨٧٩) في أواخر=

وجذور تركية فمثلما قلت لك عاش في مصر. ورياض باشا[٤٧] ومصطفى باشا فهمي[٤٨].

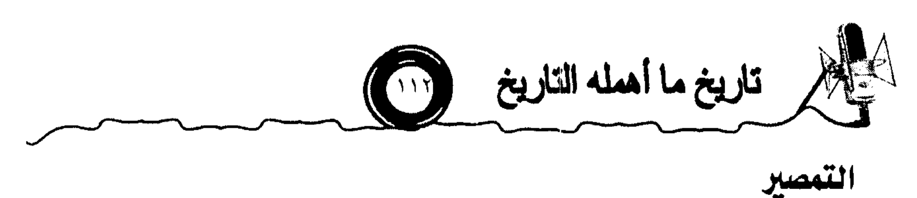
=حكم الخديو إسماعيل، وتميزت وزارته بخلوها من العنصر الأجنبي حيث أقصى منها الوزيرين الأوروبيين الذين كانا يتوليان المالية والأشغال في عهد نوبار ومحمد توفيق، ثم شكّل وزارته الثانية (٥ يوليو ١٨٧٩ - ١٨ أغسطس ١٨٧٩) وتولى منصب وزير الداخلية والخارجية فيها، كما تولى رئاسة مجلس النظار للمرة الثالثة (١٤ سبتمبر ١٨٨١ - ٤ فبراير ١٨٨٢) واحتفظ فيها بمنصب ناظر الداخلية، وخلال وزارته أنشئ مجلس النواب وافتتحه الخديوي في ٢٦ ديسمبر ١٨٨١، أما الرابعة فكانت بعد إخماد الثورة العرابية في ٢١ أغسطس ١٨٨٢م حتى استقالته في يناير ١٨٨٤م.

[٤٧] ولد مصطفى رياض بالقاهرة عام ١٨٣٤.

انتظم في العمل في سلك عساكر الموسيقي برتبة ملازم عام ١٨٤٩، ثم ترقى إلى رتبة اليوزباشي (نقيب)، ثم رتبة الصاغ (رائد)، مع استمراره في عمله كعازف، ثم ترقى إلى رتبة البكباشي (مقدم) أثناء خدمته الموسيقي العسكرية. عين بعد ذلك مديراً للجيزة عام ١٨٥٣، وأطفيح عام ١٨٥٦، ثم مديراً لمديرية الفيوم، ثم قنا في العام نفسه، ثم انتقل للقاهرة نائباً لناظر السكك الحديدية (١٨٥٦- ١٨٥٧).

عينه الخديوي إسماعيل حاملاً للختم في يناير ١٨٦٣، ثم أصبح عضواً بمجلس الأحكام (يوليه ١٨٦٤)، فناظراً لخاصة الخديوي إسماعيل في أكتوبر ١٨٦٤، واستمر في وظيفته كحامل ختم، وطرد من خدمة الخديوي في فبراير عام ١٨٦٨. تولى مهام منصب ناظر (وزير) المدارس والأوقاف في أغسطس ١٨٧٣، ثم مستشاراً لناظر الداخلية، ورئيساً لمحكمة الوصاية على الأيتام (مارس ١٨٧٤)، وتولى رئاسة المجلس الحسبي في السنة التالية أيضا.

شكّل وزارته الأولى في (٢١ سبتمبر ١٨٧٩ - ١٠ سبتمبر ١٨٨١)، وتولى فيها منصب نظارة الداخلية ومؤقتاً منصب ناظر المالية، ثم عين رئيساً لمجلس النظار للمرة الثانية =



التمصير

مصر اشتهرت بأنها تُمَصِّر من فيها، حتى الأجانب يصيرون مصريين.

(●) المعدة المصرية من أقوى المعدات في العالم كله، تهضم «الزَّلَط» وتهضم الترك، وتهضم الـ..، حتى عرف عنها أنها مقبرة الغزاة.

=(٩ يونيو ١٨٨٨- ١٢ مايو ١٨٩١) وخلال هذه النظارة تصدى لمحاولات اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر أن تتنازل مصر عن السودان، وأخيراً تولى رئاسة النظارة للمرة الثالثة (١٩ يناير ١٨٩٣- ١٥ إبريل ١٨٩٤)، وعُين فيها ناظراً للمعارف العمومية.

من أهم أعماله: أوقف ١٨٠٦ فداناً بالوجه البحري مساهمة منه في إنشاء دار الكتب، أصبحت الوقائع المصرية في عهده تصدر يومياً بعد أن كانت تصدر مرتين في الأسبوع، صدرت في عهده لائحة ترتيب المحاكم الشرعية في يونيه ١٨٨٠، إلغاء السخرة، وضع خطة مع دوربك، خبير التعليم السويسري، للنهوض بالتعليم الشعبي، نشر التعليم في أنحاء القطر عن طريق إصلاح الكتاتيب.

(٤٨) مصطفى فهمي باشا من مواليد كريت (١٨٤٠ - سبتمبر ١٩١٤)، استلم منصب رئيس وزراء مصر على مرحلين: الأولى من ١٨٩١ إلى ١٨٩٣ وذلك خلفا لرياض باشا، والثانية من ١٨٩٥ إلى ١٩٠٨خلفا لرئيس الوزراء نوبار باشا.اعتبره الكثير من المصريين رجل الإنجليز في مصر. ترأس المؤتمر القبطي في أسيوط، عام ١٩١١و الذي سمي بالمؤتمر المصري.

نعم.

قادرة على الهضم وتلك هي عبقرية الشعب المصري، وقدرته لأن يهضم ويُمَصِّر، ويأتي بهذه التيارات الأجنبية ويُمصّرها ثم يعيدها مرة أخرى بشكل مصري.

في الوقت نفسه مَصَّرنا العرب.. عاشوا في مصر، تزوجوا من مصريات، وأنجبوا، وتطبعوا بالطبائع المصرية، هذه مقدرة مصر.

الأستاذ جمال بدوي، بعد هذه الدراسة المتأنية المتعمقة للتاريخ، ما هو الدرس الذي يقدمه التاريخ على مداه إلى مصر المعاصرة وإلينا الآن؟

درس التاريخ يدعونا إلى أن نكون أكثر وعيًا وأكثر حرصًا وأكثر نفاذًا لرؤية التيارات كلِّها التي تدور من حولنا.

لأننا لا نريد أن نحيا داخل الشرنقة المصرية، ونغلق على أنفسنا الباب، ونقول ليس لنا شأن بغيرنا. لا، لا بد أن نمد الذراع المصرية أو العين المصرية فتكون من الاتساع، ومن سعة الأفق؛ بحيث أن تنظر لما حولها سواء...

خاصة في هذا العصر

خاصة في هذا العصر الذي تحوّل فيه -مثلما يقولون- العالم إلى قرية كبيرة، إذن، لا نقدر على أن ننعزل عمّا حولنا.

مصر بحكم تكوينها ووضعها لا تقدر على الانعزال عما حولها، مصر عليها التزامات تجاه العرب والعالم العربي، عليها التزامات تجاه العالم الإسلامي، عليها رسالة للعالم كلِّه؛ إنها تسهم في بناء الحضارة.

وإياك أن تتخيل أننا في مرحلة ضعف فلا نقدر على المساهمة، لا.. نساهم؛ نساهم عن طريق الأفكار.. أفكارنا، وعن طريق تاريخنا.

كنت في أمريكا من فترة قريبة جدًّا، فكنت أتعمّد زيارة المتاحف، وكنت أذهب إلى الأقسام المصرية في هذه المتاحف، لك أن تتخيل مدى احترام هؤلاء الناس لمصر وتاريخ مصر.. وكنت أسمع وأرى الأم تُلقِّن ابنها وهي واقفة أمام الخريطة، تقول له: هنا

اسمها أسيوط، وهنا اسمها بنها، وما الذي عرّفها ببنها وأسيوط على الخريطة.

أم أمريكية!

نعم أم أمريكية وتعلم ابنها قبل أن يدخل المتحف، فمشيتُ وراءها كي أرى ما يحدث فأجدها تلقِّنه وتعلِّمه تاريخ مصر. وعندما أكون خارج مصر أقدم نفسي أقول لهم أنا فلان من مصر، فيعاملونني باحترام شديد.

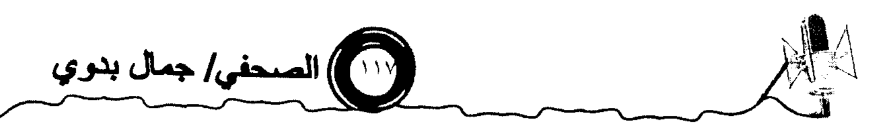
وذات مرة كنت ضمن وفد من ٣٠ دولة في مؤتمر دولي فعندما كان يأتي عليّ الدور لأقدّم نفسي للناس -على مستوى الكونجرس الدولي- أشعر باحترام شديد جدًّا لمصر، وكل من يُسَلِّم عليَّ يهز يدي فترة طويلة؛ مزيدًا من التقدير والإعزاز لمصر.

نحن لا ندرك هذا، مصر لها مكانة في العالم ضخمة جدًّا ومحترمة جدًّا وكبيرة جدًّا.. فلا بد إذن من أن نضع مصر في المكانة اللائقة بها، لا نقل: إننا صرنا في ظروف مغايرة.. الفقر.. ظروفنا.. ونأخذ القروض.. وكذا وكذا، هذا خطأ؛ لأن هذه مرحلة وقتية،

مصر رأت ظروفًا صعبة جدًا.. لو حدثتك عن الشدة المستنصرية[٤٩] سترى أن مصر قد مرت بظروف صعبة جدًّا، لكن لها المقدرة على أن تنتصر.

---

[٤٩] في مستهل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري من تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، وتحديدا في عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ١٠٣٦-١٠٩٤م حدثت **الشدة المستنصرية** أو مايعرف بالشدة العظمى، وهو مصطلح يطلق على المجاعة والخراب الذي حل بمصر نتيجة غياب مياه النيل بمصر لسبع سنين متواصلة عرفت بالعجاف، نهاية عصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وروى المؤرخون حوادث يشيب لها الولدان، فلقد تصحرت الأرض وهلك الحرث والنسل وخطف الخبز من على رؤوس الخبازين، وأكل الناس القطط والكلاب، حتى إن بغلة وزير الخليفة الذي ذهب للتحقيق في حادثة أكلوها، وجاع الخليفة نفسه حتى إنه باع ما على مقابر آبائه من رخام، وتصدقت عليه ابنة أحد علماء زمانه، وخرجت النساء جياع صوب بغداد، وذكر ابن إلياس أن الناس أكلت الميتة وأخذوا في أكل الأحياء وصنعت الخطاطيف والكلاليب، لاصطياد المارة بالشوارع من فوق الأسطح، وتراجع سكان مصر لأقل معدل في تاريخها، ويذكر أن الخليفة المستنصر قد امتدت فترة حكمه للستين عاما ويلاحظ أن هناك علاقة بين طول مدة الحكام في مصر ونزول الشدائد بها، ففي زمن رمسيس الثاني الذي طالت مدة حكمه ضربت مصر الترائل وعرفت سنوات الشدة في مصر بالسنين العجاف (ذكرت في عشر أيات بالتوراة وتسع أيات بالقرآن الكريم)، حدثت مجاعة عصر حكم الهكسوس لمصر في سبع سنوات عرفت بسنين يوسف، رواها القرآن في حلم الملك وبتولية يوسف عليه السلام خزائن الأرض، أدار الأزمة باقتدار، ولكن من للمستنصر بوزير كيوسف عليه السلام، ويذكر أن الحسن بن الهيثم قد زار مصر في عصر الدولة الفاطمية، وأشار عليهم ببناء سد عالي على النيل، إلا أن مشروعه رفض من الخلافة=



الناس في هذا الوقت أكلوا لحم القطط والكلاب. «إن كنت تريد المستقبل لا بد أن تكون متفائلًا لا متشائمًا».

بالضبط، ما كنت أريد أن أقول هذا، لأن كتبًا كثيرة كُتِبت في الشدة المستنصرية.

نعم

=فكانت النتيجة ما حدث من شدة، وظلت الفكرة حتى كتب لها التنفيذ في ستينيات القرن العشرين ببناء السد العالي الذي وقى الله به مصر خطر السنين العجاف التي غالبا ما كانت تستمر بالسبع سنين، ويذكر أن محمد علي بعد خروج الحملة الفرنسية كانت مصر أمامه ليحكمها منذ ١٨٠٣م إلا أنه وبذكاء رفض الولاية ومنسوب الفيضان منخفض ولم يقبل إلا بعد انتهاء الأزمة التي حسبت على البرديسي الوالي العثماني نعود للشدة المستنصرية وما جاء بكتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلافا، تأييدا لما سبق نسوق ظهر الغلاء بمصر واشتد جوع الناس لقلة الأقوات في الأعمال وكثرة الفساد وأكل الناس الجيفة والميتات ووقفوا في الطرقات فقتلوا من ظفروا به، وبيعت البيضة من بيض الدجاج بعشرة قراريط، وبلغت رواية الماء دينارا، وبيع دار ثمنها تسعمائة دينار بتسعين دينارا، وعم مع الغلاء وباء شديد وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات براً وبحراً إلا بالخفارة الكبيرة مع ركوب الغرر وبيع رغيف من الخبز زنته رطل في زقاق القناديل فبلغ أربعة عشر درهما، وبيع إردب قمح بثمانين ديناراً. وأكلت الكلاب والقطط. فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير.

(●) الذي حدث في عصر المستنصر الفاطمي، وكان النيل عندما يقل تحدث المجاعات، ورأينا عهودًا سيئة وحكامًا ظالمين كثيرًا، ورأينا استبدادًا وقهرًا لم يره أي شعب في العالم. لكن كيف استطاع هذا الشعب أن يتحمل كل هذا وأن يقاوم؟!.. هذه هي قدرة الرغبة في الحياة. فإن كنت تريد المستقبل لابد أن تكون متفائلًا لا متشائمًا.

مسؤولية الوعي وتحكيم العقل في قضايا الإرهاب والتستُّر

الصحفي الكبير الأستاذ/ جمال بدوي رئيس صحيفة الوفد

عودة إلى قضية الإرهاب التي قتلناها بحثًا.. ما الذي تتوجه به إلى المواطن، المواطن المصري الآن؟

وما الذي تتوجه به إلى الكُتَّاب والمثقفين والمسجد والكنيسة والحزب والنقابة والإنسان المصري بشكلٍ عام؟

(●) الإنسان المصري بشكلٍ عام أو في كل المواقف التي ذكرتها عليه دور ومسؤولية؛ مسؤوليته هي مسؤولية الوعي، ليس من الممكن أن يقف موقفًا سلبيًّا هكذا، وهو يرى الخطأ أمامه.

الخطأ والخطر.

لا ينبغي على المصري أن يتعاطف مع الإرهاب. أقول لك ما السبب، السبب أنه من ضمن عيوبنا كمصريين أننا نتعاطف مع الإنسان الذي يسمّونه المجني عليه، لمجرّد أن الحكومة واقفة ضده، وهذه النقطة لفتت نظر لطفي السيد باشا، وذكرها من ضمن عيوب الشخصية المصرية؛ أنه دائمًا ما يتعاطف مع المظلوم، نعم مع المظلوم هذا صحيح، جميل، لكن عندما يتحول هذا التعاطف مع المظلوم أن تتستّر على مجرم، هنا لا تكون ميزة أو فضيلة، بل تصبح رزيلة.

خاصة إذا لم يكن مظلومًا أصلًا.

عندما يلجأ قاتل معين إلى أسرة في الصعيد أو في المزارع، لا ينبغي أن أتستر عليه، بالعكس يجب أن نقدمه إلى العدالة تأخذ مجراها.. بلد فيها قانون..محاكم.. عدالة موجودة لكل إنسان ودفاع.

عندنا قضاة.

(●) وعندنا صحافة حرة تدافع عن المظلوم، وقضاة، إذن مسألة أن يتحول التَّعاطف على المجني عليه أو على المجرم بأن يتستَّر عليه، هذا عيب يجب أن نتخلص منه، ويجب على كل مصري أن يكون واعيًا، وأن يُفرِّق بين العواطف وبين التدليل أو بين أن يتحول التدليل إلى فساد؛ لأنني بذلك أرتكب جريمة. وبالإضافة إلى كونها جريمة يعاقب عليها القانون، فإنها أيضا جريمة ضمير. وأقول: الدولة تريده وأنا ضد الدولة، لأني أكره الحكومة أو أعارضها،هذا خطأ. فهذه نقطة أساسية.

وتصنيفك لها على أنها جريمة.. جريمة ليس لها علاقة بالدين.

(●) بكافة المقاييس جريمة، وفي الشريعة جريمة، وفي القانون جريمة، وفي الدستور جريمة.. كيف تدافع عن إنسان قاتل؟! ولماذا يقتل؟! كيف يسمح لنفسه أن يعتدي على النفس البشرية؟! بأي حق صنع من نفسه قاضيًا وصنع من نفسه مُنفِّذًا وصنع من نفسه حاكمًا؟!، هذا كلام لا يقام في دولة يحكمها القانون، فإذن نرجع لمسؤولية المواطن المصري لأن يقف إزاء هذه المستجدات وقفة حاسمة وحازمة في الوقت نفسه.

يزيد الأمر سوءًا بضرب السياحة وضرب الاقتصاد القومي.

ليس من مبرر لأن أتستر على جريمة، أو أتعاطف مع جريمة، وأقول «أتعاطف»؛ لأننا نجد في بعض كتابات إخواننا الصحفيين تبريرات، ولكن يجب أن تكون عندنا الشجاعة والرؤية الواضحة؛ بحيث نشجب الجريمة، ونستنكر الإرهاب، ونقف في وجهه؛ لأن هذا يؤدي بنا إلى حرب أهلية، لوعرفت الإرهاب هذا أو الجماعات السرّية التي تعمل في الظلام..، على ماذا تحارب؟! لا أعرف. الذي يعمل على السطح وهو خصمك تقدر على مواجهته، لكن الذي يُدبِّر ويُنظِّم..

تحت الأرض.

لقد عانى تاريخ المسلمين كثيرًا من سبب مثل هذه التنظيمات السرية؛ لأنهم يعملون في الظلام، وفجأة يقع الانقلاب، فلا تعرف من الذي قام بالانقلاب، وفجأة تُفاجَأ بحاكم أو بقائد لم يكُ يخطر على بال إنسان.

هؤلاء الأولاد الصغار تُسيطرُ عليهم أفكارُ الحرية والعدالة والمساواة، أفكار عظيمة، ومع هذا يُستقطبون لأن ينضموا لجماعات سرية، وبعد ذلك يُفاجَأ الجميع عندما يقع الانقلاب بالكارثة الكبرى فيجدون أنفسهم أمام واقع مرير لا يقدرون على الخروج منه، وقعوا في «الخَيَّة»، كوقود لهذه التنظيمات الخطرة.

فلماذا إذن العمل في الظلمة، أليس الأفضل في النور بوضوح وشفافية؟

عندما يأتي أحد يسألني في الجريدة، أو حتى صحفي أجنبي، فأنا أعمل في النور، أكتب وأقول، ليس تنظيمًا سرِّيًا، ومكتبي مفتوح دائمًا.

تعارض بشكل عَلَنِيّ.

(●) عَلَنِيّ، وأتكلم في التليفزيون بشكلٍ علنيّ، وأتكلم في الإذاعة بشكلٍ علنيّ، وأقول رأيي بالمعارضة، على رؤوس الأشهاد.. ألجأ إلى تنظيم سري.. لماذا؟!

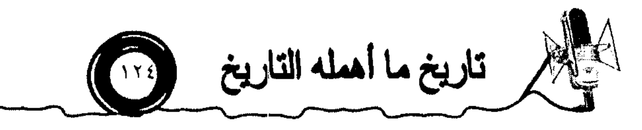
بالضبط.

قل رأيك بصراحة وبشجاعة، إلا إذا كانت هناك أهداف أخرى. آفة الآفات هي السعي وراء الانقلاب والسُّلطة، فهم يريدون لأن يصلوا إلى الحكم عن طريق الإرهاب. هذا ما أخشاه بكل بصراحة؛ أن تقع مصر في براثن الإرهاب، ستكون تلك مصيبتها، وستظل هكذا مئات السنين إلى أن تخرج منه إن حدث – لا قدَّر الله.

لذلك نرى هذه الصيحة التحذيرية من الأستاذ جمال بدوي إلى كل مواطن مصري الآن بأن يتنبه إلى الخطر المحيط.

أن يتنبه إلى الخطر المحيط ويمارس حقوقه، بمعنى: أن يعمل في السياسة، وينضم إلى الأحزاب، ويقرأ الصحف، ويتابع ويهتم، فلا يكون سلبيًا.

تقصد أن يشارك.



(●) نعم، يكون مشاركًا، فلا يظل في البيت يقوم بدور المتفرّج فقط، الأحزاب أمامه موجودة بكافة الألوان، وهذا ما نقوله وندعو إليه.

كلنا نقول هذا.

بهذه الدعوة نصل إلى ختام هذه الشهادة الثرية مع الصحفي الكبير الأستاذ جمال بدوي رئيس تحرير صحيفة الوفد، نشكره عليها شكرًا جزيلًا.

(●) أشكرك جدًّا.

الفهرس

